قال الإمام المزنى – رحمه الله – قرأت كتاب الرسالة على الشافعى – رحمه الله – ثمانين مرة فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ فقال الشافعى – رحمه الله – : "أبى الله أن يكون كتابا صحيحا غير كتابه"

(حاشية ابن عابدين)

المشكلات الأسرية والتربوية فى ضوء الإسلام

أسباب وحلول

جميع حقوق الطبع والنسخ والنشر محفوظة

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه بأى
طريقة كانت ميكانيكية أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل أو البث عن
طريق الشبكات الإلكترونية أو غيرها إلا بموافقة الناشر

على ذلك كتابة ومقدماً

المكتب المصرى الحديث

www.almaktabalmasry.com
info@almaktabalmasry.com

القـــاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٣٩٣٤١٢٧

الإسكندرية: ٧ شـــارع نوبـــار المنشـــية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

المشكلات الأسرية والتربوية

فى ضوء الإسلام

أسباب وحلول

المستشار
مصطفى فرغلى الشقيرى

المكتب المصرى الحديث
www.almaktabalmasry.com

إهداء

إلى الفتيان والفتيات الراغبين فى تأسيس بيوتهم على تقوى من الله

إلى كل زوج وزوجة تَنَكَّبَا عن الطريق المستقيم وحادا عن شرع الله القويم فأصابهما الشقاء وحل بهما العناء. عسى الله أن يهديهما إلى سواء السبيل ويأخذ بأيديهما إلى الصراط المستقيم

إلى كل زوجين أسسا بنيانهما على تقوى الله فأسعدهم الله بتقواه فحصدا ثمار ما غرسوا

إلى هؤلاء جميعا أهدى إليهم هذا البحث

يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

"ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله" [رواه ابن ماجة].

ويقول الشاعر محمد مصطفى حمام:

تــزوجوا وانظمــوا أوطانــنا أسرا ... لا تــتركوا وطــن الأمجــاد منتــثرا
لا تجعلــوا البيــت والتزويج مشكلة ... ويســروا مــن أمور العيش ما عسرا
لا تخشــوا الفقر كم من أسرة شبعت ... عــزا ومــالا وفــرد خــاب وافــتقرا
ولا تخــافوا شــقاقا فــى بيوتكموا ... بل أضمروا الحب يبقى الحب منتصرا

مقدمة

تتعرض الأسرة فى المجتمع الإسلامى لمشكلات تكاد تعصف بها، وربما تؤدى إلى انهيارها، وانهيار الأسرة نذير بانهيار المجتمع وتصدع بنيانه، لأنها هى الخلية الأولى فى المجتمع والأساس الذى يقوم عليه فإذا ضعف الأساس تطرق الضعف إلى البنيان الذى يرتكز عليه، فضلا عن ذلك فإن الأسرة هى مصنع اللبنات والبذور والوحدات التى تتشكل وتتبت منها أسرة المستقبل، فإذا أصاب العطب هذه البذور فلن يصلح نبتها وهلم جرا، فانهيار وفساد الأسرة فساد للمجتمع والفرد، وبالتالى انهيار للأمة فى حاضرها ومستقبلها، ومن ثم ركز أعداء الأمة على الأسرة وصوبوا سهامهم المسمومة إليها لتدميرها بالمخدرات، تارة وبالجنس تارة، وبسلخها عن القيم والتقاليد العربية الإسلامية تارة أخرى، وتجهليها بالتراث العربي الإسلامى الذى قامت عليه الحضارة العربية الإسلامية التى استمرت ثلاثة عشر قرنا.

ولما رأيت أن التصدى لهذه المشكلة لا يتناسب وحجمها وخطورتها، فهى مشكلات عملية واقعية، فلا يكون التصدى لها بأبحاث تقوم على سرد النصوص من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وأحداث التاريخ الإسلامى فحسب، ولا يكون بموعظة يلقيها خطباء ينقصهم الوعى الكافى بمشكلات الأسرة وإيجاد حلول عملية لها، ولا يظن القارئ أننى أقوم بتوهين الخطاب الدينى فى حل مشكلات الأسرة، أو التقليل من شأنه، إننى أريد تفعيل الخطاب الدينى القائم على القرآن الكريم والسنة النبوية ليكون له السبق والريادة والسيادة فى حل المشكلات الأسرية على أسس عملية لا نظرية.

ومما يضاعف من حجم المشكلات الأسرية ويزيد من خطورتها، أن مصادر التأثير تعددت وتنوعت، فمن مصادر التأثير الأب والأم والإعلام والمجتمع، ومن هذه المصادر الثلاثة مجتمعة تتكون الأنماط السلوكية للفرد، وقد تتغلب إحدى المصادر على الأخرى فى تربية الفرد منذ طفولته، فيكون لها التأثير سلبا أو إيجابا.

فعلى سبيل المثال يرغب الأبوين فى تربية أولادهما تربية دينية، وأجهزة الإعلام لا تهتم بما ترغبه الأسرة، فيحدث التناقض وما يتبعه من مشاكل. أيضاً يحدث مثل ذلك حينما يخرج الطفل إلى المجتمع ويعايش أترابه فى دور التعليم وفى الأندية وغير ذلك من مؤسسات المجتمع، هذا الطفل الذى رباه والداه على سلوكيات إسلامية صحيحة، يجد من سلوكيات غيره ممن يعاشرهم ويعايشهم ما يتناقض مع السلوكيات التى تربى عليها فى محيط أسرته، هذه مشكلات تتعلق بتربية النشء.

كما أن طريقة إنشاء الأسرة وتكوينها إذ لم يراعى فيها الأسلوب الاجتماعى الصحيح تحت مظلة الدين، سوف يثمر هذا التكوين الخاطئ مشكلات قد تتفاقم وتزداد وربما تؤدى إلى الطلاق. ومن المشكلات الأسرية الخطيرة مشكلة عقوق الوالدين عند الكبر وعدم صلة الرحم.

هذه مقدمة طرحت فيها بعض المشكلات على شكل عموميات موجزة أو بعض صور لمشكلات الأسرة فى المجتمع الإسلامى، وسوف تجد أيها القارئ الكريم بين دفتى الكتاب الطرح الموسع للمشكلات والحلول العملية.

أسأل الله أن ينفع بها من طالعها ويجزى كاتبها الجزاء الحسن

المستشار

مصطفى فرغلى الشقيرى

الأسرة ضرورة إنسانية

يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(١)

عدَّدَ الله سبحانه وتعالى فى سورة الروم الآيات والعلامات الدالة على عظمته وربوبيته ووحدانيته وهذه الآيات من أجلّ وأعظم نعم الله على خلقه، فمنها آية النوم، وآية إنزال الأمطار، ومنها آية خلق الإنسان من تراب وهو آدم. بعد هذه الآية يذكر الله عز وجل نعمة الزواج، بخلقه المرأة، وخلق فى نفوس الطرفين الميل إلى الآخر؛ ليحصل التناسل، وتكوين الأسرة؛ ليعمر الكون وتنشأ المجتمعات البشرية، وهذا الميل يبنى على المودة والرحمة، حتى يتحقق المقصود من الزواج، وهو السكن والاستقرار، لا التنافر والشجار، قال ابن عباس رضى الله عنهما: المودة: حب الرجل امرأته، والرحمة شفقته عليها أن يصيبها سوء، وقيل المودة والرحمة من الله والبغض من الشيطان.

إن المودة والرحمة جناحين يحلق بهما الزوجان فى أجواء من الاستقرار، وتحت ظلهما تعيش الأسرة آمنة مستقرة، وصدق القائل "حسنة الدنيا هى الزوجة الصالحة".

إن المودة والرحمة هما الفطرة السليمة التى أودعها الله فى قلب الزوجين، لتستقيم الحياة إذا تدخل الشيطان وصوب سهامه وأصاب الجناحين أو إحداهما، أو نفث سمومه فى قلب الزوجين أو إحداهما، هبطت الأسرة من الآفاق العليا التى كانت تعيش فيها بفضل الله ورحمته إلى وهاد المشاحنات والبغضاء التى تورد الأسرة موارد الهلاك، وبذلك يصاب كيان الأسرة بالعطب والخلل بعدما كان سليما معافى: "إن الأسرة هى المأوى الطبيعى لكلا الجنسين، والمستقر الوحيد الزكى لعلاقتهما. إن الإنسان وحده نصف ما يبلغ تمامه إلا إذا انضم إليه نصف آخر. والشهوة الجنسية – لو صححنا النظر إليها – عامل ثانوى فى تكوين الأسرة أو

---

(١) سورة الروم الأية ٢١

عاطفة مساعدة والسكن الذى أشار إليها القرآن الكريم معناه استقرار الشعور والسلوك واطمئنان المرء إلى أنه مع شخص يزيد به ويستريح معه ويهدأ فى كنفه عند القلق ويلتمس البشاشة معه عند الضيق"[1].

ويقول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)[2] تشير هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أوجد الأسرة منذ فجر الخليقة، بداية من خلق آدم وخلق حواء من جسده، ليطمئن إليها وترتاح نفسه وتميل إليها، لأن الجنس إلى الجنس أميل، خصوصًا إذا كان بعضا منه، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه[3].

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى تفسير هذه الآية: "إنها الفطرة التى فطر الناس عليها أن يتوجهوا إلى الله ربهم معترفين له بالربوبية الخالصة عند الخوف وعند الطمع والمثل المضروب هنا للفطرة يبدأ من أصل الخليقة وتركيب الزوجية وطبيعتها. فهى نفس واحدة فى طبيعة تكوينها وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى وإنما هذا الاختلاف ليسكن الزوج إلى زوجه ويستريح إليها وهذه هى نظرة الإسلام لحقيقة الإنسان ووظيفة الزوجة فى تكوينه وهى نظرة كاملة وصادقة جاء بها هذا الدين منذ أربعة عشر قرنا يوم أن كانت الديانات المحرفة تعد المرأة أصل البلاء الإنسانى وتعتبرها نجسا ولعنة وفخا للغواية تحذر منه تحذيرًا شديدًا ويوم أن كانت الوثنيات – ولا تزال – تعدها من سقط المتاع أو على الأكثر خادما أدنى مرتبة من الرجل"[4].

وقد نزلت المرأة فى المجتمع الهندى منزلة الإماء وكان الرجل يخسر زوجته فى القمار، وكان فى بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج فإذا مات زوجها صارت كالموؤودة لا تتزوج، وتكون هدف الإهانات والتجريح وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وخادم الأحياء، وقد تحرق نفسها على إثر وفاة زوجها تفاديا من عذاب الحياة وشقاء الدنيا.

---

(١) هذا ديننا للشيخ محمد الغزالى ص ١٤٩

(٢) الأعراف الآية ١٨٩

(٣) تفسير النسفى بتصرف الجزء الثانى ص ١٢٩

(٤) فى ظلال القرآن . سيد قطب الجزء التاسع طبعة عيسى الحلبى ص ١٣٤

وكانت المرأة فى المجتمع الجاهلى عرضة غبن وخيف وتؤكل حقوقها وتحرم إرثها، وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجا ترضاه، وتورث كما يورث المتاع والدابة، عن ابن عباس قال: "كان الرجل إذا مات أبوه أو حميّه فهو أحق بامرأته إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدى بصداقها أو تموت فيذهب بمالها".

وقال عطاء بن أبى رباح: إن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبى يكون فيهم. وقال السُّدِّى: إن الرجل فى الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهى أحق بنفسها وكانت تتعرض للضرر والاعتداء والإعراض من الزوج ومن اللحوم ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من الإناث دون تحديد"[1].

انظر كيف كانت المرأة فى الجاهلية فأصبحت فى الإسلام مصونة ودعامة للبيت السعيد وركنه العتيد "لأن الأصل فى التقاء الزوجين هو السكن والاطمئنان والأنس والاستقرار ليظلل السكون والأمن جو المحضن الذى تنمو فيه الفراخ الزغب وينتج فيه المحصول البشرى الثمين ويؤهل فيه الجيل الناشئ لحمل تراث التمدن البشرى والإضافة إليه ولم يجعل هذا الالتقاء لمجرد اللذة العابرة والنزوة العارضة كما أنه لم يجعله شقاوة ونزاعا"[2].

إن تكريم القرآن للمرأة كما سبق أن بيناه بوضعه المرأة الوضع الصحيح فى نظام الأسرة، لأن المرأة شطر النفس الإنسانية، وصانعة الجنس البشرى، هى أم وأخت وزوجة وابنة وحارسة العش الذى تنمو فيه الطفولة.

يقول الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[3] هذا التعبير القرآنى فى وصف العلاقة بين الزوجين فيه استعارة بديعة شبه كل واحد من الزوجين لاشتماله على

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٦٨ و ٧٥ طبعة دار القلم دمشق
(٢) فى ظلال القرآن لسيد قطب الجزء التاسع ص ١٣٤ طبعة عيسى الحلبى
(٣) البقرة آية ١٨٧

صاحبه فى العناق والضم باللباس المشتمل على لابسه قال فى تلخيص البيان: "المراد قرب بعضهم من بعض واشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام فاللباس استعارة"(١).

وقد وصف الله سبحانه وتعالى عقد الزواج بأنه ميثاق غليظ والميثاق الغليظ هو العهد الوثيق المؤكد وقد لخص الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - العلاقة الزوجية بوصفها الأساس الذى يقوم عليه بناء الأسرة والمجتمع بقوله: "إن هذه العلاقة هى التى يقوم عليها بناء العمران - هى وقاعدة النظام الاقتصادى وتوزيع الثروة - كما يقوم عليها بناء الأخلاق الإنسانية فى مجالات واسعة متشابكة والنظرة إلى هذه العلاقة وإلى العلاقات الاقتصادية كذلك فرع عن النظرة إلى الإنسان.

لقد عنى الإسلام - منهج الله للحياة الإنسانية - بتصحيح النظرة إلى المرأة بإقامة العلاقة بين الجنسين على أساس من حقائق الفطرة وبتوضيح هذه العلاقة فى كل فرع من فروعها النفسية والعملية بحيث لا تضطرب ولا تتأرجح ولا يكتنفها الغموض فى زاوية من زواياها عنى أولا ببيان وحدة الزوجين وتساويهما (من ناحية الإنسانية) ليقضى على جميع النظريات الخاطئة التى كانت تزعم أن المرأة جنس منحط بذاته عن جنس الرجل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً)(٢).

وعنى - ثانيا - ببيان وحدة الزوجين وتساويهما (من ناحية علاقتهما بربهما وجزائهما عنده) (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)(٣) (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)(٤).

---

(١) صفوة البيان للصابونى الجزء الأول ص ١٠٩ و ١١٠ طبعة دار الصابونى
(٢) النساء: ١
(٣) آل عمران: ١٩٥
(٤) الأحزاب: ٣٥

وعنى – ثالثا – ببيان نوع الصلة بين شقى النفس وأهداف هذه الصلة سواء ما يختص منها بالزوجين وما يختص منها بالمجتمع الإنسانى كله. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1] ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[2] ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[3].

وعنى – رابعا – بتنظيم الصلة بين الجنسين فى كل أحوالها وأطوارها وما ينفرد به كل منهما وفقا لتكوينه الفطرى ووظيفته فى المجتمع الإنسانى القائم عليهما كليهما

(أ) فَبَيَّن حقهما معا فى أصل الملكية والكسب والميراث مع خصوصية كل منهما فى بعض الفروع وذلك للقضاء على النظريات والأنظمة الخاطئة التى كانت تحرم المرأة حقها هذا:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[4]

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[5]

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾[6]

﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾[7]

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾[8]

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾[9]

---

(١) الروم: ٢١
(٢) البقرة: ١٨٧
(٣) البقرة: ٢٢٣
(٤) النساء: ٣٢
(٥) النساء: ٧
(٦) النساء: ١١
(٧) النساء: ١١
(٨) النساء: ١٢
(٩) النساء: ٤

(ب) وبين نظام قيام الأسرة ونظام التعامل بينهما فى الأسرة وحقوق كل منهما على الآخر وحقوق الأطفال الناشئين ثمرة التقائهما كذلك فالعلاقة تبدأ زواجا بمهر

(وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً)[1].

والمرأة لا تورث ولا تمنع من الزواج بعد وفاة زوجها لتفتدى نفسها من أهل الزوج ولا تمسك بعد الطلاق ضرارا حتى تفتدى نفسها من الزوج كما كان الحال فى الجاهلية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً)[2].

وللرجل القوامة فى البيت وعليه الإنفاق وله مزاولة حقوق القوامة فى المحافظة على كيان الأسرة من التفكك فى مهب النزوات العارضة والمحافظة على العش الذى تتعلق به حقوق الأطفال وحقوق المجتمع البشرى الذى يعتمد على مؤسسات الأسرة فى نموه الاجتماعى ورقيه (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً)[3] فأما حين يخشى على مؤسسة الأسرة التصدع والانهيار فهناك إجراءات أخرى:

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً)[4]

---

(١) النساء: ٢٤
(٢) النساء: ١٩ – ٢٠
(٣) النساء: ٣٤
(٤) النساء: ٣٥

وحين لا تجدى هذه المحاولة فهناك الطلاق إذن ليبحث كل منهما عن شريك يقيم معه مؤسسة الأسرة على أساس أقوى (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً)[1]

وللأطفال حقوقهم عند تفرق الوالدين:

(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[2]

الزواج فطرة بشرية

لما كان الزواج هو الوسيلة المشروعة لتكوين الأسرة وللبقاء على النسل البشرى وقيام المجتمعات فقد حث عليه الرسول ﷺ ورغب فيه عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[3]" [رواه البخارى ومسلم واللفظ لهما وأبو داود والترمذى والنسائى][4].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة"[5]

وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليه سرته وإن أقسم عليها أبرَّته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله"[6]

---

(١) النساء: ١٣٠

(٢) البقرة: ٢٣٣

(٣) قاطع للشهور ويضعفها

(٤) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ ص ٤٠

(٥) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه – الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤١

(٦) رواه ابن ماجة

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله والمكاتب[1] الذى يريد الأداء والناكح يريد العفاف". [رواه الترمذى واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح وابن حبان له فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم[2].

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جاء رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ: فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج فجاء الرسول ﷺ إليهم فقال: "أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى"[3].

يبين من هذه الأحاديث أن الرغبة فى الزواج أمر أودعه الله فطرة البشر ومن ثم حث عليه ورغب فيه ولما جاءه رهط من صحابته وقد رغبوا بأنفسهم عن الزواج بين لهم أن ذلك أمر يخالف سنته وأن من سنته الزواج وأنه شطر الدين.

فوائد الزواج

يقول الأمام أبو حامد الغزالى: "وفيه فوائد خمسة:

الفائدة الأولى:

الولد وهو الأصل وله وضع النكاح

والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم من جنس الأنس وإنما الشهوة خلقت باعثة – مستحثة

وفى التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه:

---

(١) المكاتب: العبد يتفق مع سيده على دفع مبلغ من المال فيعتق

(٢) الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٤٣

(٣) رواه البخارى واللفظ له ومسلم وغيرها

الوجه الأول:

موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان وبيان ذلك أن السيد إذا سلم لعبده البذر وآلات الحرث وهيأ له أرضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة فإن تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثى وخلق النطفة وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاض (باعث) الشهوة على الذكر والأنثى فكل ممتنع عن النكاح معطل لما خلق الله من الآلات المعدة وخارج على مقصود الفطرة فلممتنع عن النكاح مضيع نسلا أدام الله وجوده من آدم ﷺ عقبا بعد عقب إلى أن انتهى إليه.

الوجه الثانى:

السعى فى محبة رسول الله ﷺ ورضاه بتكثير ما به مباهاته إذ قد صرح رسول الله ﷺ بذلك: "تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة".

الوجه الثالث:

أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له.

الوجه الرابع:

أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا روى البزار والطبرانى من حديث زهير بن أبى علقمة: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله أنه مات لى ابنان سوى هذا فقال: "احتظرت من دون النار بحظار شديد" ولمسلم من حديث أبى هريرة فى المرأة التى قالت دفنت ثلاثة "لقد احتظرت بحظار شديد من النار" وقال ﷺ: "من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يا رسول الله واثنان قال: واثنان" [متفق عليه].

وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى قال: فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجونى فزوجوه فسئل عن ذلك فقال لعل الله يرزقنى ولدا ويقبضه فيكون لى مقدمة فى الآخرة. ثم قال رأيت فى المنام كأن القيامة قامت وكأنى فى جملة الخلائق فى الموقف وبى العطش ما كاد أن يقطع عنقى وكذا الخلائق من شدة العطش والكرب فنحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل

من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس فمددت يدى إلى أحدهم وقلت اسقنى فقد أجهدنى العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقى آباءنا فقلت ومن أنتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين.

الفائدة الثانية:

التحصن من الشيطان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج.

الفائدة الثالثة:

الترويح عن النفس وإيناسها وإراحة القلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق نفور فإذا روحت باللذات المباحة فى بعض الأوقات قويت ونشطت وينبغى أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى: (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) وقال على رضى الله عنه: "روحوا عن القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت".

الفائدة الرابعة:

المرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين لأنها سوف تتكفل بشئون البيت وتهيئة للحياة السعيدة.

الفائدة الخامسة:

مجاهدة النفس بالرعاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعى فى إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيته لأولاده. فكل هذه أعمال عظيمة الفضل يقول ﷺ: "ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فىّ امرأته"(١). أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: "دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبه ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها الذى أنفقته عل أهلك".

---

(١)- إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى

المنهج النبوى فى تكوين الأسرة:

وضع رسول الله ﷺ الأسس لتكوين الأسرة وأرشدنا إلى المنهاج الصحيح فى بنائها وبقدر الالتزام بالمنهج النبوى ومراعاته تكون السعادة الزوجية والأسرية.

والمنهج النبوى يحدد قواعد اختيار الزوجة ويجعل الدين العامل الرئيسى والمرجح فى الاختيار.

أولا: اختيار ذات الدين:

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك"(١) وليس معنى الحديث أن الرسول ﷺ ينهانا عن زواج من توافر لديها المال أو الحسب أو الجمال إنما المعنى أن توافر هذه الصفات من الأمور التى ترغب فى الزواج ولكن شريطة أن يكون الدين على رأس هذه الصفات بل إن الدين وحده إذا توافر فى المرأة كاف للزواج منها حسب المنهج النبوى أما إذا توافر الجمال أوالحسب أو المال أو اجتمعت كلها بدون الدين فهى غير كافية لإقامة علاقة زوجية وأسرية سليمة وإن قامت فمصيرها الانهيار لا الاستقرار والاستمرار.

رُوِىَ عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ: "من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه"(٢)

وعن عبد الله بن عمرٍ رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن(٣) ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرماء(٤) سوداء ذات دين أفضل"(٥).

---

(١) رواه البخارى ومسلم
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط
(٣) يوقعهن فى المعصية
(٤) مقطوعة الأذن أو الأنف
(٥) رواه ابن ماجة

والواقع يؤكد صواب نظرة رسول الله ﷺ فكم من امرأة جميلة شقى بها زوجها ونغصت عليه حياته وكم من صاحبة حسب تعالت على زوجها وتكبرت وحملها حسبها على التقصير فى حق زوجها وكثيرا ما يتعرض الزواج الذى أهمل فيها جانب الدين فى المرأة للانهيار وانفصال الزوجين بالطلاق أو الخلع.

يقول الشاعر:

فإن تظفر بذات الدين زوجا ... فقد أحسنت والله اختيارا
فذات الدين حسناء عروب[1] ... ونور الحسن قد غمر الخمارا
يفيض حياؤها فى كل فعل ... فتلقاها التخفر[2] والوقارا
وذات الدين جوهرة مصون ... ولؤلؤة قد اكتست المحارا
وأغلى درة فى الكون صيغت ... ففاق صفاؤها الذهب النضارا
تسرك إن نظرت إليها ابتهاجا ... وحين تريد لبتك ائتمارا
بها تلقى رحاب البيت أمنا ... وبستانا ترى فيه ثمارا
ترى فى ظلها الأيام تحلو ... وتصفو لا ترى فيها غبارا
ترى كل الليالى باسمات ... بضوء الحب تحتضن النهارا
وتلقى الضائقات رضا عميقا ... يحيل العسر أجمعه يسارا
وذات الدين راعية تراها ... هى القلب الذى يحوى الصغارا
ويرعى كل أمر باهتمام ... ولم تغفل رعايته الكبارا
وقد ملئت رحاب البيت حبا ... وسعدا فاض واخضر اخضرارا
فمن يك قد تزوج ذات دين ... فقد نال المنى وجنى الفخارا[3]

يقول حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين) عن اختيار ذات الدين: "أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه يقع الاعتناء فإنها إن كانت ضعيفة الدين فى صيانة نفسها وفرجها أزرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الغيرة والحمية لم يزل فى بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأنفة وإن كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق

---

(١) المتحببة إلى زوجها
(٢) التخفر: الحياء
(٣) من قصيدة بعنوان (اظفر بذات الدين) للدكتور عبد الله حسن الأستاذ بأصول اللغة جامعة الأزهر . الوعى الإسلامى العدد ٤٥٦ شعبان ١٤٢٤ سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٣

على الزوج مفارقتها فلا يصبر عليها وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكت ولم ينكره كان شريكا فى المعصية مخالفا لقوله تعالى (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً) وإن أنكر وخاصم تنغص العمر ولهذا بالغ الرسول ﷺ فى التحريض على ذات الدين".

ذكر الأصمعى قال: قال لى الفرزدق يوما: امض بنا إلى حلقة الحسن البصرى فإنى أريد أن أطلق النوَّار زوجتى فقلت له: إنى أخاف أن تتبعها نفسك قال انهض بنا فجئنا حتى وقفنا على باب الحسن البصرى فقال: كيف أصبحت أبا سعيد قال: بخير كيف أصبحت يا فراس قال: تعلمن أنى طلقت النوار ثلاثا قال الحسن وأصحابه: قد سمعنا وشهدنا فانطلقنا فقال لى الفرزدق يا هذا إن فى نفسى شيئا فقلت قد حذرتك فقال:

ندمت ندامة الكُسَفِّى[1] لما ... غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت بها يمينى ... لكان علىَّ للقدر الخيار

طلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى فلما تزوجت اشتد عليه ذلك وندم فدخل عليه أشعب فقال له أبلغ عنى رسالة لسعدى ولك منى ٥٠٠٠ درهم فقال عجلها فأمر له بها فلما قال هات رسالتك فأنشدها:

أسعدى ما إليك لنا سبيل ... ولا حتى يوم القيامة من تلاقى
بلى ولعل دهرا أن يواتى ... يموت من حليلك أو فراق

فأتاها وأنشد الشعر فردت على الوليد بقولها

أتبكى على سعدى وأنت تركتها ... فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما أنشد أشعب هذا البيت همّ الوليد بأن يعذبه أو يقتله أو يطرده من القصر فقال أشعب: ما كنت لتعذب عينين نظرتا إلى سعدى فتبسم الوليد وأخلى سبيله.

ذكرت هاتين الحكايتين لأدلل بهما على ما قلته آنفا من أن الزوجة الجميلة مع فساد دينها قد يتعلق بها زوجها وإن طلقها، وبجانب توافر الدين يجب أن يتوافر فى

---

(١) رجل يضرب به المثل فى الندم

الزوجة حسن الخلق لأنها إذا كانت سليطة اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء قال بعض العرب:

"لا تنكحوا من النساء ستة: الأنَّانه والمنَّانه والحنَّانه والحدَّاقه والبَّراقه والشَّداقه أما الأنَّانه فهى التى تكثر الأنين والتشكى، والمنَّانه التى تمن على زوجها فتقول فعلت لأجلك كذا وكذا، والحنَّانه هى التى تكون معلقة برجل آخر فتحن إليه، والحدَّاقة التى تحدق وتطيل النظر فى الشيء فتشتهيه وتكلف الزوج شرائه، والبراقه تحتمل معنيين أحدهما أن تكون كثير التحديق فى المرآة لتزين وجهها حتى يصبح له بريق صناعى والثانى أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة وبرق الصبى الطعام إذا غضب عنده، والشداقه هى الثرثارة التى تكثر من الكلام"(١).

إن الزوجة الصالحة هى الكنز الحقيقى الذى يدخره الرجل فى دنياه وآخرته روى الترمذى عن ثوبان قال: "لما نزلت (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله) كنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزلت فى الذهب والفضة فلو علمنا أن المال خير لاتخذناه فقال رسول الله ﷺ أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه"(٢).

ثانيا: عدم المغالاة فى المهور:

فلقد تزوجت السيدة فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ عليا على (درع) قيمته أربعة دراهم فكان هذا مهرها.

وزوج الرسول ﷺ أحد أصحابه على عدد من سور القرآن يحفظها فيعلمها لزوجته. وتزوج عبد الرحمن بن عوف وكان مهر زوجته وزن (نواة) ذهب.

---

(١) إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى، الجزء الرابع، طبعة دار الشعب، ص ٧١٢-٧١٣

(٢) منهج التربية النبوية للطفل: محمد نور سويد ص ٣١

ثالثا: اختيار ذا الدين:

يقول الرسول ﷺ: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض"(١).

قال رجل للحسن بن على رضى الله عنهما: إن لى بنتا فمن ترى أن أزوجها قال: "زوجها من يتق الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها"(٢).

الخطبة وأحكامها

الخطبة هى البوابة الرئيسية للولوج إلى عش الزوجية السعيد، وفترة الخطوبة مقدمة للتعرف على المخطوبة جمالها وأخلاقها طباعها نظرتها إلى المستقبل، وعلى الخاطب أن يسبر غور مخطوبته ويغوص فى أعماقها، ولا يكتفى بالنظرة السطحية لبعض مواصفتها الجمالية والكلمات المعسولة التى يتبادلها الطرفان خلال فترة الخطوبة، وقد يكون الخاطب قد تعرف على كل ذلك من خلال المجاورة لأسرة المخطوبة فى المسكن أو الجامعة أو العمل فرأى منها ما يرغبه فيها فتقدم لخطبتها.

ومعرفة الأسرة من الأمور التى يجب مراعتها لأنها هى المصدر الرئيسي التى تلقت منه الفتاة قيمها وأفكارها وأسلوب حياتها يقول الرسول ﷺ "تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس".

واستثناء من الأمر الشرعى بغض البصر وتحريم النظر إلى المرأة الأجنبية وتدقيق النظر فيها أباح الإسلام للخاطب أن ينظر إلى من يرغب فى الزواج ويدقق النظر فيها لقوله ﷺ "إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل" قال جابر راوى الحديث: "فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعانى إلى نكاحها فتزوجتها"(٣).

---

(١) رواه الترمذى، إحياء علوم الدين جزء ٢ ص ٤١

(٢) وصايا إلى البيت المسلم، د. حسن شحاته ص ١٧

(٣) رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات وصححه الحاكم.

وقال ﷺ للمغيرة بن شعبة وقد خطب أمرأة "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم[1] بينكما"[2].

كما أباح الإسلام للمرأة النظر إلى من يريد الزواج منها بل هذا الحق ثابت لها بالطريق الأولى فالعقد بالنسبة لها قيد لا تستطيع التخلص منه إلا بصعوبة بالغة أما بالنسبة للرجل فيمكنه التخلص منها بطريق الطلاق الذى جعله الشارع بيده ولا يتوقف على رضاها[3].

هل يجوز للمرأة أن تخطب الرجل

يجوز للمرأة أن تخطب الرجل لنفسها فقد روى عن سهل بن سعد الساعدى أنه قال: "جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: جئت أهب لك نفسى فنظر إليها رسول الله ﷺ فصَعَّدَ النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله: إن لم يكن لك بها حاجة فزوجينها فقال: هل عندك من شيء؟ فقال لا والله يا رسول الله فقال: اذهب إلى أهلك فذهب ثم رجع فقال: لا والله يارسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزارى (قال: سهل ما له رداء) فلها نصفه فقال رسول الله ﷺ: ما تصنع بإزارك إن لَبِستَه لم يكن عليها شيء وإن لبستَه لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ مُولِّيا فأمر به فدعى فلما جاء قال: ماذا معك من القرآن؟ قال معى سورة كذا وسورة كذا (عددها) فقال تقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم قال: اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن"[4].

فالحديث واضح منه أن المرأة عرضت نفسها على رسول الله ﷺ وليس لهذا من معنى إلا أنها أرادت الزواج منه وصرحت له بذلك وهذا هو الخطبة إذ أن الخطبة هى استدعاء الزواج ولو كانت خطبة المرأة للرجل من المحظورات ما

---

(١) يؤدم: أى تستمر الزوجية

(٢) رواه الترمذى وحسنه وصححه

(٣) النكاح والقضايا المتعلقة به، الدكتور أحمد الحصرى الأستاذ بكلية الشريعة جامعة الأزهر

(٤) صحيح مسلم - الجزء الأول ص ٥٩٦

سكت الرسول ﷺ عن خطبة المرأة له إذْ لا يسكت رسول الله ﷺ على منكر يراه[1].

الخطبة على الخطبة

قد يتقدم الخاطب إلى المرأة فترتضيه هى وأهلها، وتميل إليه ويميل إليها، وتوافق عليه هى ووليها موافقة صريحة، فى هذه الحالة يحرم على الآخر خطبتها، لأن ذلك اعتداء على حق الخاطب الأول وإساءة إليه، وقد يترتب على هذا التصرف الشقاق بين الأسر إلا إذا لم يصل إلى علم الخاطب الثانى بخطبة الأول، أو كان الأول قد ترك المخطوبة وعدل عن الخطبة فلا حرمة حينئذ.

فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: "المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطب أخيه حتى يذر" (أى حتى يترك ويعدل عن الخطبة).

وفى الحديث إعلاء من شأن الأخوة الإسلامية والنهى عن الأفتيات على ما ترتبه من حقوق ومن هذه الحقوق حق الخاطب فى أن يحترم الغير خطبته فلا يعتدى عليها ويخطب على خطبته.

وحكى الترمذى عن الشافعى رضى الله عنهما فى معنى الحديث "إذ خطب المرأة فرضيت به وركنت إليه فليس لأحد أن يخطب على خطبته". لأن الخاطب فى هذه الحالة اكتسب حقا احترمه الشارع، وحرم على غيره أن يتقدم للمخطوبة يخطبها على خطبته، وإذا خطبها الثانى وعقد عليها فعند أبى حنيفة والشافعى – رحمهما الله – وبعض المالكية أن الخاطب الثانى يأثم لكن العقد صحيح، لأن النهى الوارد فى الحديث عن الخطبة، وهى ليست شرطا فى صحة الزواج، ولا ركنا فيه، ففسادها لا يؤدى إلى فساد العقد، على أن حق الخاطب الأول لم يثبت بعد وكان للمرأة أن تمتنع من نكاح الأول حين خطبة الثانى، لكن على الزوج أن يستغفر الله لمخالفته أمر رسول الله ﷺ عن الخطبة على خطبة الغير[2].

---

(١) النكاح والقضايا المتعلقة به، الدكتور أحمد الحصرى ص ٣٦-٣٧

(٢) النكاح والقضايا المتعلقة به، المرجع السابق ص ٤٦- وفقه السنة للسيد سابق ص ٢٣

خطبة معتدة الغير

تحرم خطبة المعتدة سواء أكانت عدتها عدة وفاة، أم عدة طلاق، سواء أكان الطلاق رجعيا أم بائنا.

فإذا كانت معتدة من طلاق رجعى حرمت خطبتها، لأن زوجها له مراجعتها فى أى وقت شاء. وإذا كانت معتدة من طلاق بائن حرمت خطبتها بطريق التصريح، إذ حق الزوج لا يزال متعلقا بها وله حق إعادتها بعقد جديد ففى تقدم رجل آخر لخطبتها اعتداء عليه.

واختلف العلماء فى التعريض بخطبتها، والصحيح جوازه وإن كانت معتدة من وفاة فإنه يجوز التعريض لخطبتها أثناء العدة دون التصريح، لأن صلة الزوجية قد انقطعت بالوفاة فلم يبق للزوج حق يتعلق بزوجته التى مات عنها. وإنما حرمت خطبتها بطريق التصريح رعاية لحزن الزوجة وإحدادها من جانب، ومحافظة على شعور أهل الميت من جانب آخر.

يقول الله تعالى: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[1] والمراد بالنساء فى هذه الآية المعتدات لوفاة أزواجهن والتعريض بالخطبة مثل أن يقول لها هل تريدين شيئا أو يكثر من مواساتها أو يرسل لها هدية.

وقد دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وهى متأيمه من أبى سلمة فقال: "لقد علمت أنى رسول الله وخيرته من خلقه وموضعى من قومى" فكانت تلك خطبته[2].

حكم الخلوة بالمخطوبة

الخاطب يعتبر أجنبيا بالنسبة للمخطوبة فلا يجوز له أن يختلى بالمخطوبة، لأن الخطبة لا ترتب حقوقا للخاطب إنما هى مقدمة وتمهيد لعقد الزواج ليتعرف الطرفان كل منهما على الآخر فى جو عائلى، وكما لا يجوز أن يخرجا دون أن

---

(١) البقرة: ٢٣٥

(٢) رواه الدارقطنى

يكون معهما أحد من أهل المخطوبة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة بالأجنبية فعن عامر بن أبى ربيعة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له فإن ثالثهما الشيطان"(١).

وقد ذهبت النظرة الحمقاء بأغرار من الناس إلى ضرورة اجتماع الخاطب بمخطوبته زمنا كافيا ليبلو كل منهما صاحبه، ويتعرف دخيلة نفسه، ويقف على أحواله جملة وتفصيلا، وقد فات هؤلاء أمران دلت عليهما التجارب وشهد بهما ما لا يحصى من الحوادث،

الأمر الأول:

أن كلا من الخاطبين يتصنع لصاحبه بما ليس فيه، ليجتذبه إليه، حتى إذا وقع فى فخه ظهر له بمظهره الحقيقى، حيث لا يمكنه الإفلات منه فيقضى حياته منغصا، أو يسلك مسلكا غير لائق بالسداد، وقد سمعنا من ذلك الشيء الكثير، ومن الأمثال المأثورة "كل خاطب كاذب".

الأمر الثانى:

أن الطبيعة البشرية لا يقوى الإنسان على مقاومتها ولاسيما من كان فى مقتبل الشباب وعنفوانه، فإذا أبيح أن يختلى الخاطب بمخطوبته فهل يستطيع أن يقف موقفا جديا فى مواجهة حاجة نفسه التى تدفعه إلى قضائها، وقد توافرت دواعيها، وهُيِّئت وأجلبت عليه بخيلها ورجلها، وأحيط بالعقل، وخارت قوى الإرادة والعزيمة، لا أحسب ذلك فى حيز الإمكان إلا من عصم ربك وقليل ما هم. وإذا كان الأمر كذلك ثم زهد الخاطب مخطوبته، ونفض يده فكيف يكون الحال، أليس ما ذهب إليه الشرع الإسلامى من سلوك للطريق الوسط هو ما تقتضيه الحكمة والحزم، فلا الخلوة المطلقة التى لا يأمن فيها ذو الطبيعة البشرية من الوقوع فى الزلل، ولا الاقتران الأعمى بامرأة لا يعرف عنها شيئا لا حسيا ولا معنويا.

ولئن قيل إن التربية الراقية تحول بين الإنسان ووقوعه فى الخطيئة قلت هذا شيء أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة فسدَّ الذرائع واجب محتم(٢).

---

(١) رواه أحمد

(٢) أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة والقانون، الدكتور الشيخ أحمد محمد إبراهيم، والمستشار واصل علاء الدين أحمد إبراهيم ص ٥٢-٥٣ الطبعة الخامسة.

العدول عن الخطبة وأثره

الخطبة مقدمة تسبق عقد الزواج، وجرت العادة أن يقدم الخاطب لخطيبته هدايا، وهذه الهدايا إما تكون هبات عينية مثل (الشبكة)، وقد تكون مالا يقدمه الخاطب، أو ملابس وغير ذلك من الهدايا العينية، ويحدث أن يقدم الخاطب المهر أو جزء منه ثم تفسخ الخطوبة، أمَّا المهر فيجب رده للخاطب لأنه دفع فى مقابل الزواج والزواج لم يتم. أما الأطعمة التى استهلكت فطبيعى أنها لا ترد، أما الشبكة وغيرها من الهدايا العينية فهى تعتبر من قبيل الهبة، وتطبق أحكام الرجوع فى الهبة الواردة بالمادة (٥٠٠) من القانون المدنى التى تشترط للرجوع فى الهبة فى حالة عدم قبول الموهوب له أن يستند الواهب إلى عذر يقبله القاضى وألا يوجد مانع من موانع الرجوع ومجرد فسخ الخطبة لا يعد بذاته عذرا يسوغ للخاطب الرجوع فى الهبة إلا إذا كان هذا الفسخ قائما على أسباب تبرره كأن يكون سبب الفسخ والعدول من جانب المخطوبة.

لا عنوسه ولا عزوبه فى الإسلام

العنوسه مشكلة أفرزها الخروج على قواعد الإسلام وهديه فى أمور الزواج، وأى خروج أو انحراف عن الهدى النبوى فى الأسرة أو المجتمع ينجم عنه من المشكلات ما يصعب حلها إلا فى ظل منهج الإسلام.

هذه المشكلة لو استمرت سوف تهدد بكارثة اجتماعية خطيرة، وقد لاحت نذرها متمثلة فى (الزواج العرفى)، الذى كثيرا ما يتم دون توافر أركان وشروط عقد الزواج، فيكون أقرب منه إلى الزنا، ومن المعروف أنه إذا تعسر الحلال تيسر الحرام والعكس صحيح.

ففى المجتمع النبوى الذى هو مجتمع القدوة، كان الزواج سهلا ميسرا، لأن الإسلام يسر أسبابه، فلا مغالاة فى المهور، ولا إسراف فى المتاع (الجهاز) الذى يقصم ظهور الأسرتين، ويسبب ارتباكا ماليا يستمر لعدة أعوام بعد إتمام الزواج، وربما لا يتم الزواج وتفشل الخطبة لعدم الاتفاق على أمور الجهاز والمهر وغير ذلك من الأمور المبتدعة، ويجنى ثمرة كل ذلك الشباب والفتيات الراغبين فى

إعفاف أنفسهما بينما تقف التقاليد عائقًا، وكم من زيجة فشلت ولم تتم لأن أسرة العروسين – والعروسين أيضا – اختلفا على مكان حفلة العرس فى أى الفنادق تكون، وعلى الفرقة التى تحي الحفل، وعلى الراقصة التى ستتوج حفلة الزفاف، ومن يدفع قيمة هذه التكاليف الباهظة.

وإن تدخل الشيطان ويسر لهما سبل المنكر فويل لهما، إن أسرة تنشأ وتبدأ أول ليلة من حياتها على انتهاك حرمات الله بدلا من شكر الله، سيكون مصيرها الفشل إن عاجلا أو آجلا، وليس معنى ذلك أن يتم الزواج فى جو من الكآبة والحزن، لا السرور والبهجة، من قال أن الفرح والسرور هو العرى والخلاعة والفجور وشرب الخمور.

أسباب العنوسة

١- إعراض الشباب عن الزواج للمغالاة فى المهور.

٢- المغالاة فى الجهاز واقتناء أشياء فى البيت ليس فى حاجة إليها إنما هى للتفاخر والمباهاة وذيوع الصيت أكثر منها لمنفعة البيت.

ومما تفتخر به الأسر الآن شراء الأثاث بأثمان مرتفعة، وإقامة الحفلات فى الفنادق الشهيرة (خمس نجوم)، يفتخر والد الزوج وأسرته وبيته فخرا بأن حفل زفاف ابنهم الذى مضى عليه سنوات عديدة بأنه أقيم فى فندق كذا وكذا وأن الراقصة المشهورة هى التى زفت نجلى، وأيضا نفس الشيء يحدث من والد الزوجة وأسرتها.

من للفقراء من الفتيان والفتيات الراغبين فى الزواج، وقد حباهما الله المنصب الرفيع والمركز المرموق، لكن أحوالهما المالية لا تنهض على دفع المهر ولا تأثيث البيت على نحو ما ذكرناه ناهيك عن تكاليف حفل الزفاف، فبدلا من الدخول فى عش الزوجية السعيد يهربا إلى كهف العنوسة البغيض.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى:

"كانت أمور الزواج من أسهل ما يكون، ولكن الناس بعد ذلك، وفى عصرنا خاصة، عسروا ما يسَّره الله، وضيقوا ما وسع الله، حتى رأينا العزوبة عند الشباب

والعنوسة عن الفتيات، فالمشكلة نحن الذين وجدناها، وقد وضع الناس عقبات كثيرة فى سبيل الزواج:

عقبات مادية:

- لا يستطيع الشاب أن يتزوج إلا أن يكون صاحب مال وفير، فالشاب المتخرج الذى يقف على أول السلم لا يستطيع أن يوفر ما يطلب منه.
- إنه فى حاجة إلى مهر يدفعه، والناس يغالون فى المهور ويتباهون بذلك والرياء الاجتماعى الزائف.
- وكذلك الاحتفال والولائم للعرس، وتذبح الذبائح، ويؤكل قليلها ويلقى فى سلة المهملات كثيرها، ثم يأتى البيت وتأثيثه بأحدث الأثاث.

عقبات اجتماعية

هناك عقبات عند كثير من الناس يتقدم إليهم الشاب فيرفضونه لم هذا؟ هذا لأنه من أسرة دون أسرتهم أو طبقة دون طبقتهم.

إن لكل عصر معاييره هناك من الفقهاء من قال بالكفاءة فى النسب والحسب والحرفة ولكن هناك من رفض ذلك (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) المقياس هو الدين والخلق لقول الرسول ﷺ: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير"[1].

مقترحات للقضاء على مشكلة العنوسة والعزوبة

قلنا أن من أسباب العنوسة هو المغالاة فى المهور على نحو يشق على راغب الزواج، فيعرض عن الزواج لضيق ذات اليد، وهو الشأن فى الغالب فى الشباب، مما يؤدى إلى وجود الكثير من الفتيات وقد توافرت فيهن جميع المرغبات من دين وجمال ومال وحسب يعشن فى كهف العنوسة البغيض، فى انتظار رحمة الله تحقق حلمهن فى الزواج السعيد، أما الشباب فربما لجأ البعض منهم إلى المتعة الحرام لقضاء وطره، والتنفيس عن رغباته المكبوتة وطاقاته الحبيسة.

---

(١) صوت الأزهر، العوانس قلوب لا تعرف الفرحة، السنة الخامسة، العدد(٢١٨) ٤ شوال ١٤٢٤هـ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٣م

ومشكلة العنوسة يمكن حلها بالآتى:

أولا: صياغة تقاليد وعادات المجتمع صياغة إسلامية على نحو من شأنه أن يوجد بيئة صالحة، تستلهم هدى النبوة فى تيسير أمر الزواج، سواء فى القضاء على المغالاة فى المهور، والقضاء على الإسراف والترف فى تجهيز البيت المسلم.

ثانيا: أن تقوم الدولة بتيسير أسباب الزواج للراغبين فيه من الشباب، وإعانتهم بتوفير المسكن، وتصنيع الأثاث، وبيعه لهم بتيسيرات، حتى يقبل الشباب على الزواج.

وقضية الزواج فى المجتمع الإسلامى ليست من الأمور الفردية، إنما تهم الجتمع كله ممثلا فى الدولة، لأن الزواج عامل من عوامل الرقى الأخلاقى وانتشار الفضيلة فى المجتمع، ومنع الرذيلة، ذلك أنه إذا تيسر الحلال وتهيأت أسبابه فلا مجال للحرام حينئذ، والعكس صحيح إذا تعسر الحلال وحالت دونه عوائق انتشر الحرام(١).

يقول الشيخ محمد الغزالى – رحمه الله – "إن إتاحة الزواج للراغبين فيه مسألة لا تقل أهمية عن ضمان الأقوات للشعوب، وعندى أن وزارة التموين لا تمثل إلا نصف المشكلة المادية، وأن شئون الزواج والأسرة تحتاج إلى وزارة أخرى، والطبقات الفقيرة تواجه مع الزواج ثلاث مشكلات: فالمهر عقبة وقد يسهل اجتيازها فتبقى مشكلة الدخل الذى يصون البيت الجديد والأسرة الناشئة، ثم تبقى مشكل الدخل الواسع الذى يكفل حياة أولاد تجب تغذيتهم وتربيتهم على خير وجه"(٢).

يقول أبو الأعلى المودودى – رحمه الله – فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فيينبغى لأهل الأسرة والجيران والأصدقاء أن يعيروا هذا الأمر كل اهتمامهم، وأما من لم يكن له قريب ولا صديق فعلى الدولة أن تساعده على الإحصان

---

(١) فى وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية، للمؤلف، طبعة دار الوفاء، ص ٨١

(٢) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، الشيخ محمد الغزالى، ص ٥٧، دار الكتب الحديثة الطبعة الخامسة

بالزواج، وأنه لا ينبغى أن يكون الفقر عائقا فى وجوه الناس عن الإقدام على الزواج، وأنه لا ينبغى على ذوى البنت إذا خطبها شاب صالح حسن السيرة والأخلاق أن يأبوا إجابته لمجرد أنه لا يكسب كثيرا، ووصية للشباب نفسه بأن لا يرجئ أمر زواجه انتظارا للمزيد من الغنى واليسر"[1] فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله والمكاتب[2] الذى يريد الأداء والناكح يريد العفاف"[3].

ثالثا: توعية المسلمين بعدم المغالاة فى المهور:

عن سهل لن سعد الساعدىً قال: "جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: جئت أهب لك نفسى قال: فنظر إليها رسول الله ﷺ فَصَعَّدَ النظر فيها وصوَّبه ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله: إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال: هل عندك من شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله فقال: اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله ﷺ: انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولو خاتما من حديد ولكن هذا إزارى – قال: سهل ما له رداء– فلها نصفه فقال رسول الله ﷺ: ما تصنع بإزارك إن لَبِستَه لم يكن عليها شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ مُوَلِّيا فأمر به فدعى فلما جاء قال: ماذا معك من القرآن؟ قال معى سورة كذا وسورة كذا –عددها– فقال تقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم قال: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن"[4].

إنها توجيهات نبوية كريمة، بل وقائع عملية حية ينبض بها قلب المرأة المسلمة العفيفة الطاهرة، ويتحرك بها فؤاد رجل مسلم يبغى إعفاف نفسه، فالاثنان الرجل والمرأة يبغيان انتشال أنفسهما من أزمة العنوسة، وعلى رأسهم نبى كريم يراقب

---

(١) تفسير سورة النور لأبى الأعلى المودودى

(٢) الذى يتفق مع سيده على دفع مال له فيعتقه

(٣) رواه الترمذى واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح وابن حبان له فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جزء ٩ ص ٣٤

الموقف، ويدير الحوار بوحى من الله، فيتدرج بقيمة المهر حتى يصل بها إلى سور من القرآن يحفظها الرجل ثم يعلمها للمرأة[1] فيكون ذلك مهرها وما أخفه من مهر وما أثقله عند الله فى ميزان هذا الرجل وتلك المرأة.

جلسة واحدة طالت أم قصرت يتم فيها بناء أسرة مسلمة على يد رسول الله ﷺ لا محاورات ولا مناورات ومساومات تدور حول أمور مادية مثل ما يحدث اليوم.

عن أنس : "أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على وزن نواة فرأى النبى ﷺ بشاشة العرس فسأله فقال: إنى تزوجت امرأة على وزن نواة" وعن قتادة عن أنس "أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على وزن نواة من ذهب" أسوق هذه الوقائع لمن يغالون فى المهور.

لازلنا مع الأسرة المسلمة فى مجتمع القدوة الحسنة عن ابن شهاب قال: أخبرنا سالم بن عبدالله أنه سمع عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يحدث "أن عمر بن الخطاب حين تأيمت[2] حفصة بنت عمر من حذافة السهمى – وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى بالمدينة – فقال بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر فى أمرى فلبثت ليالى ثم لقينى فقال: قد بدا لى ألا أتزوج يومى هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلىَّ شيئا وكنت أوجد عليه منى على عثمان فلبثت ليالى ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياها فلقينى أبو بكر فقال: لعلك وجدت علَىَّ حين عرضت على حفصة فلم أرجع إليك شيئا؟ فقال عمر: فقلت نعم قال أبو بكر: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علىَّ إلا إنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن أفشى سرَّ رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها"[3]

نواصل الحديث عن مجتمع القدوة والمقتدى بهم هنا الأسوة الحسنة محمد ﷺ والفاروق عمر وأبو بكر وأم المؤمنين حفصة وعثمان رضى الله عنهم.

---

(١) فتح البارى جزء ٩ ص ١١٦، فى رواية سعيد بن المسيب عن سهل بن سعد "أن النبى ﷺ زوج رجلا امرأة على سورتين من القرآن يعلمها إياهما"

(٢) الأيم: من مات زوجها

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جزء ٩ ص ٨١

عمر الذى يَفْرَق منه الشيطان ويهابه الأنس والجان، عمر الذى قال عنه الصحابة كنا نسير خلف عمر فإذا نظر عمر خلفه تكاد قلوبنا تسقط، يعرض كريمته على عثمان فيأبى، فيعرضها على أبى بكر وهو يعلم بأن فى عصمته زوجة، عمر يأبى أن تبقى ابنته حفصة أرملة بلا زواج وهى فى عنفوان شبابها تأيمت عن شهيد فى غزوة بدر، لا يطيق عمر أن يرى حفصة تعانى من مرارة الترمل لحظة واحدة، ففور انتهاء عدتها عرضها للزواج على الصحابيين الجليلين عثمان وأبى بكر، لكن الله أراد لها أن تكون زوجة لأكرم إنسان على وجه الأرض إنه محمد ﷺ وبذلك انضمت حفصة إلى البيت النبوى الكريم لتصبح واحدة من أمهات المؤمنين.

مهر فاطمة بنت محمد ﷺ وجهازها ومعيشتها

روى البيهقى عن على قال: خُطِبت فاطمة من رسول الله ﷺ فقالت مولاة لى: هل علمت أن فاطمة خُطبت من رسول الله قلت لا قالت: فقد خطبت فما يمنعك أن تأتى رسول الله فيزوجك بها؟ فقلت أو عندى شىء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك. فوالله مازالت ترحينى حتى دخلتُ على رسول الله فلما أن قعدت بين يديه أفحمت فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة فقال رسول الله ﷺ "ما جاء بك ألك حاجة؟" فسكتُّ فقال: "لعلك جئت تخطب فاطمة" فقالت: نعم فقال: "وهل من شىء تستحلها به؟" فقلت: لا والله يا رسول الله فقال: "ما فعلت درع سلحكتها؟" فوالذى نفسى على بيده إنها لَحُطَمِيَّه[1] ما قيمتها أربعة دراهم فقلت عندى فقال: "قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها" فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ، أما جهازها فكان خميلا (قطيفة) وقربة ووسادة أَدَم حشوها إذخر[2].

فاطمة التى ملك حبها قلب أبيها محمد ﷺ فيقول "إنها فاطمة بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها" تتزوج على صداق قدره أربعة درهم وهى التى لو

---

(١) لحطميه: درع ثقيلة عريضة تتحطم عليها السيوف

(٢) أدم: جلد ، إذخر: نبات طيب

أُمْهِرت مثل وزنها ذهبا لما كان ذلك كافيا، ويكون جهازها قربة ووسادة محشوة أعشاب من البادية ومثلها يسكن القصور وينام على الديباج والحرير وحولها الوصيفات والخادمات، لكن تلك سمة البيت النبوى الكريم.

يقول على بن أبى طالب عنها "كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه وكانت زوجتى فجَرَّت بالرحاء حتى أثرت الرحا بيدها واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها وقمت البيت حتى أغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها وأصابها من ذلك ضر"

بل إنها ليشتد الأمر عليها وهو حامل فكانت إذا خبزت أصاب حرف التنور بطنها فأتت أباها تسأله خادما فقال لها: "لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع أولا أدلك على خير من ذلك إذا أويت إلى فراشك تسبحين الله تعالى ثلاثا وثلاثين وتحمدينه ثلاثا وثلاثين وتكبرينه أربعا وثلاثين" وذكر جابر بن سمرة أن النبى ﷺ جاء فجلس وقال: "إن فاطمة وجعة" فقال القوم لوعدناها فقام حتى انتهى إلى الباب - والباب عليها مصفق[1]- فنادى شدى عليك ثيابك فإن القوم جاءوا يعودونك فقالت يا نبى الله ما علىَّ إلا عباءة فأخذ رداءه فرمى به إليها من وراء الباب وقال: شدى بهذا رأسك فدخل ودخل القوم وقعد معها ساعة[2] فخرجوا فقال القوم تالله بنت نبينا على هذا الحال فالتفت إليهم وقال: "أما إنها سيدة النساء يوم القيامة".

وقالت عائشة كنا عند النبى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه ما تغادر منا واحدة. إذ جاءت فاطمة تمشى ما تخطئ مشيتها من مشية النبى ﷺ شيئا فلما رآها قال: "مرحبا يا بنتى" فأقعدها عن يمينه ثم سارها بشىء فبكت فقلت لها أنا من بين نسائه خصك الرسول ﷺ بالسرار وأنت تبكين ثم سارها بشىء فضحكت. فقلت لها أقسمت عليك بما أخبرتينى قالت: ما كنت لأفشى على رسول الله ﷺ سره قالت عائشة فلما توفى النبى ﷺ سألتها فقالت: أما الآن فنعم أما بكائى فإن رسول الله ﷺ قال لى: "إن جبريل عليه السلام كان يعرض علىّ القرآن كل عام مرة فعرض العام

---

(١) مصفق: مردود

(٢) ساعة: جزء من الوقت أو بعض الوقت

مرتين ولا أرى إلا أجلى قد اقترب فبكيت، فقال لى: "اتق واصبرى فأنى نعم السلف لك" ثم قال: "يا فاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل هذه الأمة" وقال: "أنت أول أهلى لحوقا بى" فضحكت وماتت فاطمة بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر[1] ومنحها أرفع لقب تظل تحمله إلى يوم القيامة سيدة نساء هذه الأمة وفى الآخرة سيدة نساء يوم القيامة.

تعدد الزوجات ومشكلة العنوسة

أباح الإسلام تعدد الزوجات وكان التعدد شائعا عند العرب بلا حد أو قيد، فلما جاء الإسلام قصره على أربع يقول الله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[2] وأمر الله تعالى الزوج بالعدل بينهن فى النفقة والفراش وغير ذلك بما تستقيم معه الحياة الزوجية.

والتعدد من مفاخر الشريعة الإسلامية ومحاسنها، ولا ينال من ذلك سوء استعماله من بعض الرجال ضعفاء الإيمان، فقد يتزوج الرجل بأكثر من واحدة ويعدل بينهن وقد يتزوج بواحدة ويظلمها ويهضم حقوقها.

مزايا تعدد الزوجات:

تحدثنا فيما سبق عن مشكلة العنوسة وأسبابها ونكمل ما تقدم ذكره ونحن بصدد الحديث عن تعدد الزوجات فنقول إن تشريع التعدد نعمة من نعم الله على خلقه لأنه هو الحل الوحيد لمشكلة العنوسة التى انتشرت فى العديد من المجتمعات الإسلامية التى لا تلتزم بشرع الله وكادت أن تهدد بكارثة اجتماعية خطيرة.

"نشرت صحيفة صوت الأزهر فى عددها الصادر بتاريخ ٤ شوال ١٤٢٤هـ - ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٣ م بعنوان: العوانس قلوب لا تعرف الفرحة

"ما زالت هناك بيوت وقلوب لم تسكنها فرحة الزواج لأسباب خارجة عن أيدى أصحابها فظهرت آفة خطيرة أصابت كل المجتمعات ألا وهى العنوسة، وإن اختلف ظهورها وخطورتها من مجتمع لآخر تبعا للظروف الاقتصادية والاجتماعية.

---

(١) نقلا عن مجلة (المسلمون)

(٢) النساء آية ٣

وما سنعرضه هنا مجرد همسات واقعية خرجت من أصحابها تستغيث، مطالبة بأن يكون لها الحق أن تفرح، وتقيم بيوتا دافئة، بأقل التكاليف، ففرحة القلوب باستمرار المودة والرحمة بين الزوجين أدوم من المبالغة فى أفراح العرس وغلاء المهور.

العانس تتحدث:

على أعتاب الثلاثين حواء العربية

لقد دفع الجدال حول التعدد العوانس إلى طرح معاناتهن النفسية تقول إحداهن: ما أعظم وأعدل الإسلام وما أتعس القوانين والأعراف الدخيلة علينا من الغرب، فلو كان التعدد مقبولا فى مجتمعى لما بقيت فتاة مثلى عانسا تتعذب وتذوق الأمرين سواء من نظرة الناس لها أو من معانتها الشديدة كإنسانة تتشوق لزوج وأطفال".

ويقول الأستاذ محمد على الصابونى صاحب كتاب صفوة التفاسير: "إن تشريع التعدد مفخرة من مفاخر الإسلام لأنه استطاع أن يحل "مشكلة اجتماعية" هى أعقد المشاكل التى تعانيها الأمم والمجتمعات اليوم فلا تجد لها حلا. فماذا نصنع إذا أصبح عدد النساء أضعاف عدد الرجال؟ أنحرم المرأة من نعمة الزوجية ونعمة الأمومة ونتركها تسلك طريق الفاحشة والرذيلة أم نحل هذه المشكلة بطرق فاضلة نصون بها كرامة المرأة وطهارة الأسرة وسلامة المجتمع وأقرب الأمثلة شاهدا على ما نقول ما حدث فى ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية حيث زاد عدد النساء زيادة فاحشة على عدد الرجال فأصبح مقابل كل شاب ثلاث فتيات فوقفت المسيحية حائرة مكتوفة الأيدى لأن المسيحية المحرفة لا تتيح التعدد وأصبحت المجتمعات الغربية التى ترفض تعدد الزوجات توافق على تعدد الخليلات.

يقول الشاعر محمد مصطفى حمام:

وفى التعدد إن أدركت حكمته ... برّ ورحمى وجبر للذى كسرا
من للمطلقة الحسناء يعصمها ... وللعوانس تفنى عمرها ضجرا
وللأرامل والأحزان تعصرها ... والحزن يفتك بالأعواد إن عصرا
ومن لأم اليتامى هل تقوتهمو ... بالخد معتصرا والقد مهتصرا[1]

(١) مهتصرا: مائلا منحنيا

ومـــا الغطـــاء لمـــن زلت وساورها ... مـــن الفضـــيحة طيف يرسل النذرا
ومـــا الســـبيل إلـــى ذريـــة نُجُـــبٍ ... إن كنـــت زوج عقـــيم حظهـــا عثرا
هـــو الـــتعدد يهـــدى الغارقيـــن إلى ... بـــر الأمـــان ويبـــنى بينـــنا أســـرا
هـــو الـــتعدد كـــم آوى اليتيم وأشـــ ... ـــباه اليتـــيم وكم واسى وكم سترا
هـــو الحـــلال الذى ينفى الحرام وكم ... حمى من الفحش أنثى أو حمى ذكرا
عـــدّد إن اســـتطعت لكن عادلا لبقا ... لا تعطيـــن الهـــوى سمعا ولا بصرا
واحكم رعاياك بالحب الصحيح تجد ... مغـــناك لا غـــيرة يشـــكو ولاغـــيرا
واســـأل ضـــميرك فى أمر التعدد لا ... لا تلجـــأ لقـــاض ولا تستأذن البشرا
إذا جـــرؤت على قاضى السماء فلن ... تكـــون يوما بقاضى الأرض مزدجرا

صفة بيت محمد ﷺ

أخرج البخارى فى الأدب المفرد عن داود بن قيس قال: رأيت الحجرات من جريد النخل مغشاة من خارجها بمسوح[1] الشعر من وعن الحسن : كنت أدخل بيوت ازواج النبى ﷺ فى خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدى وقد أدخلت فى المسجد فى عهد الوليد بن عبد المطلب وبكى الناس لذلك قال سعيد بن المسيب إذ ذاك والله لوددت أنهم تركوها على حالها ليراها النشء من أهل المدينة ويقدم القادم من الأفاق فيرى ما اكتفى به النبى ﷺ فى حياته فيكون ذلك داعيا إلى ترك التفاخر والتكاثر.

عقد الزواج وأركانه

يتم الزواج صحيحا ومنتجا لأثاره إذا توافرت أركانه وشروط صحته

أركان الزواج:

هى الإيجاب والقبول ، والإيجاب يقصد به ما صدر من أحد الطرفين مما يدل على إنشاء العقد والرضا به ، والقبول ما صدر من الطرف الثانى مما يدل على قبوله ورضاه وموافقته على العقد على أن يكون ذلك كله فى مجلس العقد.

---

(١) المسح: الكساء من الشعر

شروط صحة عقد الزواج:

الشرط الأول:

حِلّ المرأة للتزوج بالرجل الذى يريد الزواج بها بأن لا تكون محرمة عليه بأى سبب من أسباب التحريم.

الشرط الثانى:

الإشهاد على الزواج.

ذهب جمهور العلماء إلى أن الزواج لا ينعقد إلا بحضور شاهدين واستدلوا على ذلك بما يأتى:

١) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: "البغايا اللاتى ينكحن أنفسهن بغير بينة"(١)

٢) روى الدارقطنى عن عائشة عن النبى ﷺ أنه قال: "لابد فى النكاح من أربعة الولى والزوج والشاهدان".

٣) ولأنه يتعلق به حق غير المتعاقدين وهو الولد فاشترطت فيه الشهادة لئلا يجحده أبوه فيضيع حقه.

الشرط الثالث:

وجود الولى لأن النكاح لا يصح إلا بولى ولا تمتلك المرأة تزويج نفسها فإن فعلت كان العقد موقوفا على إجازة الولى، لأن النبى ﷺ قال: "لا نكاح إلا بولى" روته عائشة وأبو موسى وابن عباس، وقال أبو حنيفة: لها أن تزوج نفسها لأن الله تعالى قال: ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ أضاف النكاح إليهن ونهى عن منعهن منه ولأنه خالص حقها وهى من أهل المباشرة فصح منها(٢).

وقد أخذت قوانين الأحوال الشخصية فى مصر برأى أبى حنيفة فى صحة جواز المرأة البالغة الرشيدة نفسها دون وجود ولى وأرى لو أخذنا بالرأى الذى يشترط الولى فى عقد النكاح لكان أصلح لأنه سيحد من الزيجات التى تتم فى الخفاء دون توافر الكفاءة وعلم الأهل.

---

(١) رواه الترمذى

(٢) المغنى لابن قدامة جزء ٦ ص ٤٤٩

خطبة العقد

تستحب الخطبة أثناء العقد يذكر الخاطب فيها – بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله – العروسين بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله وحسن المعاشرة ويوصى كل طرف بأن يرعى حق الله فى الآخر ويذكرها بواجباتها وحقوقها ويستحب أن تكون الخطبة قصيرة.

حفلات الزفاف

حفلات الزواج هى وسيلة الإشهار والإعلان الذى أمر به الرسول ﷺ فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: "أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه الدفوف"، والإعلان يكون بما جرت عليه العادة ودرج عليه عرف كل جماعة بشرط ألا يصحبه محظور نهى الشارع عنه كشرب الخمر أو اختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك من أنواع المحرمات، ومما أباحه الإسلام وحبب فيه الغناء عند الزواج بشرط أن يخلو من المجون والخلاعة والميوعة وفحش القول فعن عامر بن سعد رضى الله عنه قال: "دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود الأنصارى فى عرس وإذا جوار يغنين فقلت: أنتما صاحبا رسول الله ومن أهل بدر يفعل هذا عندكم فقال: "وإن شئت فاذهب قد رخص لنا فى اللهو عن العرس"[1].

وزفَّتْ السيدة عاشة رضى الله عنها الفارعة بنت أسعد وسارت فى زفافها إلى بيت زوجها – نبيط بن جابر الأنصارى – فقال النبى ﷺ: "يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو"[2] وفى بعض روايات هذا الحديث أنه قال: "فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغنى" قالت عاشة تقول ماذا يا رسول الله قال:

تقول:

أتيـــــــناكم أتيـــــــناكم فحـــــــيونا نُحَـــــــيِّكُمْ
ولـــــولا الذهـــــب الأحمـــــر مـــــا حلـــــت بواديكـــــم
ولـــــولا الحـــــنطة الســـــوداء مـــــا ســـــمنت عذاريكـــــم

---

(١) رواه النسائى والحاكم وصححه
(٢) رواه البخارى وأحمد وغيرهما

وعن الربِّيع بنت مُعَوِّذ قالت: "جاء النبى ﷺ حين بُنِىَ[١] بى فجلس على فراش فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف ويندبن[٢] من قتل من آبائى يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفين نبى يعلم ما فى غد فقال ﷺ: دعى هذا وقولى بالذى كنت تقولين[٣]"[٤] وجاء فى حديث آخر أنه ﷺ قال: "لا يعلم ما فى غدٍ إلا سبحانه[٥]"[٦]

الدعاء للعروسين:

ويستحب بعد العقد الدعاء للعروسين فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان إذا رفأ الإنسان (تزوج) قال: "بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير" وعن عائشة قالت "تزوجنى النبى ﷺ فأتتنى أمى فأدخلتنى الدار فإذا نسوة من الأنصار فى البيت فقلن: "على الخيرِ والبركة وعلى خير طائر"[٧] وعن الحسن قال: "تزوج عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه امرأة من بنى جشم فقالوا: بالرفاء والبنين فقال: قولوا: كما قال رسول الله ﷺ بارك الله فيكم وبارك عليكم"[٨]

الوليمة وأحكامها

هى اسم للطعام الذى يصنع فى العرس وجاء فى القاموس أن الوليمة هى طعام العرس أو كل طعام صنع لدعوة وغيرها وهى سنة مؤكدة لقول الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: "أولم ولو بشاة" وعن أنس رضى الله عنه قال: "ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه ما أولم على زينب وجعل يبعثنى فأدعو الناس فأطعمهم خبزا ولحما حتى شبعوا"[٩]

---

(١) بنى بى: أى تزوجت مأخوذة من البناء (الزواج)
(٢) يذكرن صفات الشجاعة والمروءة وكان أبوها مُعَوِّذ وعماها عوف ومعاذ ممن قتلوا يوم بدر
(٣) نهاها عن ذلك لأنه لا يعلم الغيب إلا الله
(٤) رواه البخارى وأبو داود والترمذى
(٥) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم
(٦) فقه السنة للشيخ سيد سابق رحمه الله الجزء الثانى ص ١٩٧ وما بعدها
(٧) رواه البخارى وأبو داود
(٨) رواه النسائى
(٩) رواه أحمد بسند لا بأس به كما قال الحافظ

وعلى من دعى إلى وليمة العرس أن يجيب الداعى لما فى ذلك من إدخال السرور عليه وتقوية الروابط بين المسلمين والتعارف بينهم ففى الوليمة يلتقى المسلم بأخيه الذى حالت صروف الدهر وتقلباته دون لقائه فتتوثق عرى الأخوة على مائدة طعام العرس وتزول الجفوة ويحل الوئام محل الخصام.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "إذا دعى أحدكم إلى وليمة فليأتها"[1] ويكره أن يدعى إلى الوليمة الأغنياء دون الفقراء فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "شر طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله"[2] وروى البخارى أن أبا هريرة قال: "شر طعام الوليمة: يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء".

حكم حضور الولائم التى فيها محرمات

إذا دعى إلى وليمة أو حفلة عرس وهو يعلم أن فيها معصية كالخمر والرقص وما شابه ذلك فلا يلبى هذه الدعوة وإن كان لا يعلم بوجود هذه المنكرات فلبى الدعوة وحضر عليه أن ينصرف وبهذا قال الشافعى وقال مالك: "إذا كان اللهو خفيفا فلا ينصرف" وقال أبو حنيفة "إذا وجد اللعب فلا بأس"[3]

وصية أهل الزوج للزوجة

ويستحب لأهل الزوجة أن يوصوا الزوجة قال أنس: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه وأوصى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ابنته فقال: "إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء" وبالجملة أن يوصوا الزوجة بما من شأنه أن تدوم الحياة الزوجية على نحو يحقق أهداف الزواج من السكن والمودة والرحمة"[4]

---

(١) رواه البخارى
(٢) رواه مسلم
(٣) المغنى لابن قدامة بتصرف الجزء السابع ص ٥
(٤) فقه السنة للشيخ سيد سابق بتصرف وإضافة الجزء الثانى ص ١٩٩

وقد أوصى أبو الدرداء زوجته فقال لها: "إذا رأيتنى غضبت فرضّنى وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب" وقال أحد الأزواج لزوجته:

خـــذى العفـــو منى تستديمى مودتى ولا تـــنطقى فى ثورتى حين أغضب
ولا تنقريـــنى نقـــرك الـــدف مـــرة فـــإنك لا تدريـــن كـــيف المغيَّـــب
ولا تكـــثرى الشكوى فتذهب بالقوى ويأبـــاك قلـــبى والقلـــوب تقلَّـــب
فـــإنى رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجـــتمعا لـــم يلبـــث الحب يذهب

وصية المراة العربية لابنتها

أوصت امرأة عربية ابنتها يوم زفافها فقالت: أى بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لترك ذلك لك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال، أى بنية: إنك فارقت الجو الذى منه خرجت، وخلفت العش الذى فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا، فكونى له أمة يكن لك عبدا، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا. أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة، وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، أما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والرعاية على خدمه وعياله وملاك الأمر فى المال حسن التقدير، وفى العيال حسن التدبير، وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرًا ولا تفشين له سرا فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره. ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهموما، والكآبة بين يديه إن كان فرحا.

صلاة ركعتين بعد دخول الزوجة

يستحب للزوج بعد زفاف زوجته إليه أن يصلى ركعتين لما روى عن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال: إنه تزوج فحضره عبد الله بن مسعود وأبو ذر وحذيفة وغيرهم من أصحاب النبى ﷺ فحضرت للصلاة فقدموه وهو مملوك فصلى بهم ثم

قالوا له: إذا دخلت على أهلك فصل ركعتين ثم خذ برأس أهلك فقل: "اللهم بارك لى فى أهلى وبارك لأهلى فىَّ وارزقهم منى وارزقنى منهم" ثم شأنك وشأن أهلك".

وروى أبو داود بإسناد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال: "إذا تزج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل: اللهم إنى أسألك خيرها وخيرَ ما جَبَلْتَها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه"[1]

الهدية للعروس صبيحة البناء

قال إبراهيم عن أبى عثمان - واسمه الجعد - عن أنس بن مالك قال: "مربنا فى مسجد رفاعة فسمعته يقول: كان النبى ﷺ إذا مرَّ بجنبات[2] أم سُلَيْم دخل عليها فسلم عليها ثم قال كان النبى ﷺ عروسا بزينب فقالت لى أم سليم: لو أهدينا لرسول الله ﷺ هدية فقال لها افعلى فعمدت إلى تمر وسمن وأَقِط فاتخذت حيسة[3] فى برمه[4] فأرسلت بها معى إليه فانطلقت بها إليه فقال لى: ضعها ثم أمرنى فقال: ادع لى رجالا سماهم وادع من لقيت قال: ففعلت الذى أمرنى فرجعت فإذا البيت غاص بأهله فرأيت النبى ﷺ وضع يديه على تلك الحيسة وتكلم بها ما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم: اذكروا اسم الله وليأكل رجل رجل مما يليه قال: حتى تصدعوا[5] كلهم عنها فخرج منهم من خرج وبقى نفر يتحدثون قال: وجعلت أغْتَمُّ ثم خرج النبى ﷺ نحو الحجرات وخرجت فى إثره فقلت إنهم قد ذهبوا فرجع فدخل البيت وأرخى الستر وإنى لفى الحجرة وهو يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) قال أبو عثمان قال أنس: إنه خدم رسول الله ﷺ عشر سنين"[6]

---

(١) فقه الأسرة المسلمة : الشيخ حسن أيوب ص ٧٧ طبعة دار التوزيع والنشر

(٢) جنبات: ناحية

(٣) الحيس: تمر وأقط وسمن تخلط وتعجن وتسوى

(٤) برمه: وعاء يصنع من الفخار يوضع فيه الطعام

(٥) تصدعوا: تفرقوا

(٦) رواه البخارى ، فتح البارى جزء ٩ ص ٦٧

حكم الزواج من نساء أهل الكتاب

الزواج من أهل الكتاب أباحه الإسلام لقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾[1]

قال ابن المنذر: ولا يصح عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك قال القرطبى قال النحاس: "قال بتحليل نكاح نساء أهل الكتاب من الصحابة والتابعين جماعة منهم عثمان وطلحة وابن عباس وجابر وحذيفة ومن التابعين سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وطاووس وعكرمة والشعبى والضحاك وفقهاء الأمصار، وتزوج عثمان رضى الله عنه نائلة بنت القرافصة الكلبية النصرانية وأسلمت عنده، وتزوج حذيفة يهودية من أهل المدائن، وسئل جابر عن نكاح اليهودية والنصرانية فقال: تزوجنا بهن زمن الفتح مع سعد بن أبى وقاص.

وإنما أباح الزواج منهن ليزيل الحواجز بين أهل الكتاب وبين الإسلام فإن فى الزواج المعاشرة والمخالطة وإتاحة الفرص لمعرفة الإسلام ومعرفة حقائقه، فهو أسلوب من أساليب التقريب العملى بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب ودعاية للهدى ودين الحق.[2]

ورغم ذلك فإنه يكره الزواج منهن لأن الزوجة هى الحاضنة للأطفال والقائمة على تربيتهم فكيف نعهد بتربية أولادنا إلى من هن على غير دينهم، ففى مرحلة الطفولة يكون الطفل لصيقا بأمه تصطحبه معها إلى دور العبادة الخاصة بها كنائس النصارى أو معابد اليهود وتزداد الكراهة وقد تصل إلى حد الحرمة إذا كانت الكتابية من قوم يحاربون الإسلام شأن كثير من الدول الأوربية والأمريكية فتعتبر فى حكم الحربية التى يرى بعض العلماء حرمة الزواج منها، فقد سئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تحل وتلا قول الله عز وجل ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ

---

(١) المائدة: آية ٥

(٢) فقه السنة للسيد سابق ص ٩٠ - ٩١ جزء ٢

الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)[1] قال القرطبى: وسمع بذلك إبراهيم النخعى فأعجبه.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان إذا سئل عن زواج الرجل النصرانية أو اليهودية قال: "وحرم الله المشركات على المؤمنين ولا أعرف شيئا من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة ربُّها عيسى أو عبد من عباد الله.

ونقل عن مالك رضى الله عنه أنه قال بكراهة نكاح المسلم الكتابية "لأن الزوج ليس له منعها من أكل الخنزير ولا من الذهاب إلى الكنيسة وهذا ربما يؤدى إلى تربية الأولاد على دينها"

ويحدث أن يسافر الشاب المسلم إلى بعض الدول الأوربية ثم يتزوج النصرانية من أهل هذه البلاد فينجب منها ثم تنتهى إقامته فيعود إلى بلده وترفض زوجته مصاحبته وتمكث بأطفالها فى بلدها وتقوم بتنشئتهم وتربيتهم على غير دين الإسلام والمشاكل التى تحدث من هذه الزيجات كثيرة ولذلك فإننى أميل إلى رأى الذين قالوا بالتحريم والله أعلم.

يقول الشيخ محمد الغزالى "إن المجتمع الغربى غارق فى الآثام إلى أذنيه وما أحسب لقاء الله يخطر على قلبه ساعة من نهار، العهر هو القانون السائد وقلما تزول بكارة فى زواج شرعى ويستحيل أن ينسل المسلم أولاد أنقياء من زواج بهؤلاء الضائعات.

صحيح أن الإسلام أباح الزواج من الكتابيات ولكن أين هن؟ ربما وجدت نسوة لديهن بقايا وحى وعفاف ومعرفة بالله الواحد القهار وقد يكون زواج المسلم منهن بابا إلى أن يعرفن الإسلام ويدخلن فيه بيد أن ما يقع غير ذلك"[2]

---

(١) التوبة: آية ٢٩

(٢) قضايا المرأة المسلمة بين التقاليد الراكدة والوافدة ص ١٠٦ – ١٠٧

حكم الزواج من الكافرة

اتفق العلماء على تحريم زواج المسلم بالكافرة سواء كانت وثنية أو مشركة أو مرتدة عن دين الإسلام أو تعبد البقر أو شيوعية وقد تعددت ملل ونحل الكفر من بوذية وهندوكية حتى وصل الأمر إلى عبادة الشيطان، وبالجملة الكفر كله ملة واحدة يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾(١)

قال مقاتل نزلت هذه الآية فى أبى مرثد الغنوى بعثه رسول الله ﷺ سرا إلى مكة ليخرج رجلا من أصحابه وكانت له امرأة بمكة يحبها فى الجاهلية يقال لها "عناق" فجاءته فقال لها: إن الإسلام حرم ما كان فى الجاهلية، قالت: فتزوجنى قال: حتى أستأذن رسول الله ﷺ فأتى رسول الله فاستأذنه فنهاه عن التزوج بها لأنه مسلم وهى مشركة(٢)

وروى السُّدى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت فى عبد الله بن رواحة وكان له أمة سوداء وأنه غضب عليها فلطمها ثم إنه فزع فأتى النبى ﷺ فأخبره خبرها فقال له النبى ﷺ "ما هى يا عبد الله" قال: هى يا رسول الله تصوم وتصلى وتحسن الوضوء وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال: "يا عبد الله هى مؤمنة" قال عبد الله: فوالذى بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها" فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا نكح أمة وكانوا يريدون أن ينكحوا من المشركين وينكحون المشركين رغبة فى أنسابهم فانزل الله: ﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾.

قال فى المغنى: وسائر الكفار غير أهل الكتاب – كمن عبد الأصنام والشجر والحيوان – فلا خلاف بين أهل العلم فى تحريم نسائهم وذبائحهم قال والمرتدة يحرم نكاحها على أية دين كانت(٣)

---

(١) البقرة: ٢٢١

(٢) الجامع لأحكام القرآن جزء ٣ ص ٦٧

(٣) فقه السنة الجزء الثانى ص ٨٩ – ٩٠

وقال ابن رشد "واتفقوا على أنه لا يجوز للمسلم أن ينكح الوثنية لقوله تعالى: (وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ).

الحياة الزوجية حقوق وواجبات

انتهينا من الحديث عن مرحلة الخطبة وأحكامها، وعقد الزواج وأحكامه والآن قد أتم الله على الزوجين النعمة ودخلا بيت الزوجية لينعما بحياة هانئة تحت مظلة الإسلام ويحققا المقصود من الزواج من السكن والمودة والرحمة وإنجاب الذرية الصالحة التي تكون لهما قرة عين في الدنيا وعملهما الصالح بعد وفاتهما وهذا ما يصبو إليه الزوجان ويتحقق ذلك بأن يحرص كل طرف في الأسرة على القيام بواجباته نحو الطرف الآخر.

حق الزوجة على الزوج

١ـ المعاشرة بالمعروف:

يقول الله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)[١] والمعاشرة بالمعروف تكون بالكلمة الطيبة والفعل الطيب وتتسع كلمة المعروف لتشمل كل أمر من شأنه أن يوطد العلاقة الزوجية وينميها ليصبح البيت واحة أمان يستقر فيها الزوجان وشجرة وارفة الظلال تظلل عليهما يقول الرسول ﷺ: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[٢] وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويضاحكهم حتى أنه يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك، قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم ثم سابقته بعدما حملت اللحم فسبقني، فقال: "هذه بتلك"[٣] وكان يجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها

---

(١) النساء – آية ١٩

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجة والدارمي والألباني في الصحيحة.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده وأبو داود في السنن.

فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ثم تتصرف كل واحدة إلى منزلها[1] وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ.[2]

يقول القرطبي في كتابه "الجامع لأحكام القرآن": "أمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أُدْمَةَ[3] ما بينهم وصحبتهم على الكمال فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش وقال بعضهم: أن يتصنع لها كما تتصنع له. قال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمدًا بن الحنفية فخرج إلي في مِلْحَفَة حمراء ولحيته تقطر من الغالية[4] فقلت: ما هذا؟ قال: إن هذه الملحفة ألقتها عليَّ امرأتي ودهنتني بالطيب وإنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن. وقال ابن عباس رضي الله عنه: إني أحب أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي".[5]

٢ـ الإنفاق:

يقول الله تعالى: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ).[6]

وقال رسول الله ﷺ: "إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة"[7] وقال ﷺ: "وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في فِيِّ امرأتك"[8]. قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك".[9]

والإنفاق واجب على الزوج –طالما كانت الزوجة في طاعته– حتى ولو كانت غنية أو موظفة فليس له حق في راتبها وللزوجة أن تقاضي زوجها إذا امتنع عن الإنفاق.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده.
(٢) صحيح مختصر تفسير ابن كثير – ص ٣٧٩ – المجلد الأول .
(٣) الأدمة: الألفة.
(٤) الغالية: أخلاط من الطيب والمسك.
(٥) تفسير القرطبي – المجلد الثالث – الجزء الخامس – ص ٦٤.
(٦) البقرة – آية ٢٣٣.
(٧) رواه البخاري.
(٨) رواه البخاري ومسلم.
(٩) مسلم – كتاب الزكاة – باب فضل النفقة على العيال والمملوك.

٣ـ ألا يفشي أسرار زوجته خاصة ما يكون بينهما في فراش الزوجية:

روى الحسن قال: جلس رسول الله ﷺ بين الرجال والنساء فأقبل على الرجال فقال: "لعل أحدكم أن يحدث بما يصنع بأهله إذا خلا" ثم أقبل على النساء فقال: "لعل إحداكن تحدث بما يصنع بها زوجها" قال: فقالت امرأة: إنهم ليفعلون وإنا لنفعل فقال: "لا تفعلوا فإنه مثل ذلكم كمثل شيطان لقي شيطانة فجامعها والناس ينظرون".(١)

٤ـ مساعدتها في شئون البيت:

سئلت عائشة عما كان يصنع النبي ﷺ قالت: كان يكون في مهنة أهله (تعني خدمتهم).(٢)

وعن عائشة رضي الله عنها تقول عن رسول الله ﷺ: "كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته".(٣)

٥ـ أن يعينها على بر والديها وصلة رحمها:

على الزوج ألا يمنع زوجته من القيام بالواجبات الشرعية من بر الوالدين وصلة الأرحام.

٦ـ ألا يأخذ من مالها الخاص شيئًا إلا إذا أذنت له وبالمعروف وإلا فلا.

٧ـ أن يأذن لها في الخروج لقضاء حوائجها خارج البيت:

فعن عائشة قالت: "خرجت سودة بنت زمعة ليلاً فرآها عمر فعرفها فقال: إنك والله يا سودة ما تخفين علينا، فرجعت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له وهو في حجرتي يتعشى وإن في يده لَعَرَقًا(٤) فأُنزِل عليه فرُفِع عنه وهو يقول: قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن".(٥)

---

(١) المغني لابن قدامة – ج ٧ – ص ٢٥.
(٢) رواه البخاري – فتح الباري – ج ١٠ – ص ٤٧٦.
(٣) أخرجه أحمد – فتح الباري – ج ١٠ – ص ٤٧٦.
(٤) العرق: العظم.
(٥) رواه البخاري – فتح الباري – ج ٩ – ص ٢٤٩.

"وقد كثرت الأخبار الواردة أن نساء النبي ﷺ كن يذهبن إلى الحج ويطفن ويخرجن إلى المساجد في عهد النبي ﷺ وبعده".[1]

٨ـ أن يتجنب مضارتها على أي نحو.

٩ـ وليكن لزوجته كأبي زرع لأم زرع، وهو حديث مشهور.

١٠ـ أن يتجنب تهديدها بالطلاق وأيضًا الحلف بالطلاق.

١١ـ إذا غضب منها فلا يسبها أو يسب أهلها أو يحط من قدرهم.

١٢ـ أن يكثر من الثناء عليها بما تهوى:

كأن يطري جمالها ويثني على ما طهته من طعام ولو كانت الحقيقة غير ذلك.

١٣ـ ملاطفة الزوجة والترويح عنها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: "إني لأعلم إن كنت عليَّ غضبه" قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: "أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبى قلت لا ورب إبراهيم" قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.[2]

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ما أعظمك زوجًا.

ورد عن أم عطية رضي الله عنها أنها قالت: "كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها وتخرج الحُيَّض فيكنَّ خلف الناس فيكبرن تكبيرهم ويدعون بدعائهم..."[3] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "... وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدَّرَق (ترس مصنوع من الجلد) والحراب... قال النبي ﷺ: تشتهين تنظرين؟ قلت: نعم فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال: حَسْبك؟ قلت: نعم قال: فاذهبي" رواه البخاري – كتاب العيدين – باب الحراب والدرق – ج ٢ – ص ٥١٠. قال أحد الصالحين: "المرأة

---

(١) المرجع السابق.

(٢) رواه البخاري – باب غيرة النساء ووجدهن – فتح الباري – ج ٩ – ص ٢٣٧.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

تحتاج إلى فضل مدارة ولطيفة من الحكمة وطرف من المواساة"[1] ويجمل رسول الله ﷺ الحقوق الأساسية للزوجة حينما سئل عنها: "تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت".[2]

١٤ـ العدل بين زوجاته إن كان له أكثر من زوجة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشِقُّه ساقط[3]".[4]

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يَقْسِمُ فَيَعْدل "ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك" يعنى القلب[5]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولو"[6]

١٥ـ أن يتجنب الضرب والهجر إلا بسبب مشروع

عن عبد الله بن زمعة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يخطب وذكر الناقة الذى عقرها فقال رسول الله ﷺ "إذ انبعث أشقاها" انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى رهطه" ثم ذكر النساء فوعظ فيهن فقال: "يعمد أحدكم فيَجْلد امرأته جَلْد العبد فَلَعَلَّه يضاجعها من آخر يومه..."[7]

---

(١) الرجل والبيت بين الواجب والواقع – للدكتور/ حسين شحاتة – ص ٣٢.
(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.
(٣) مائل معوج.
(٤) رواه الترمذى وتكلم فيه والحاكم وقال صحيح على شرطهما وراه ابن ماجة وابن حبان
(٥) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه – عن الترغيب والترهيب للمنذرى جزء ٣ ص ٦٠
(٦) رواه مسلم وغيره
(٧) رواه البخارى ومسلم – شرح رياض الصالحين لابن عثيمين المجلد الأول ص ٦٥٦

وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا فى البيت"[1]

علاج نشوز المرأة

ذكرنا فيما تقدم أن العلاقة الزوجية تقوم على المودة والرحمة والألفة والحب، وأن الرسول ﷺ أوصى كثيرا بحسن معاملة الزوجة وأن من أوجب حقوقها على زوجها أن يعاشرها بالمعروف والإحسان فلا يضربها ولا يهجرها وأن يتجنب مضارتها بأى نوع من أنواع الضرر أو الإيذاء.

وقوانين الأسرة المعمول بها فى المحاكم الآن تعطى للزوجة حق طلب التطليق إذا أثبتت أن زوجها أضرّ بها وأساء معاملتها على نحو تستحيل معه العشرة بينهما فحينئذ يقوم القاضى بتطليقها على هذا الزوج.

وذكرنا أن الإسلام وضع الزوج على رأس الأسرة قوامة وقيادة وإشرافا، بما منحه الله من طاقات بدنية ونفسية تؤهله لهذا الأمر وبما يقوم به من الإنفاق عليها وتوفير أسباب المعيشة لها من مسكن وملبس ومأكل فإذا قصر فى ذلك يحق للزوجة أن تمتنع عن طاعته وهذا حقها شرعا وقانونا.

وإذا كان الإسلام أقام الأسرة على التوازن فى الحقوق والواجبات فقد أعطى للزوج حقوقا فى حالة نشوز الزوجة عن طاعته وإهدارها لحقوقه التى يقوم عليها البناء الأسرى وإن كان للزوج السلطة الكاملة فى فصم عرى الزوجية حينئذ بالطلاق لكن آخر الدواء الكى بالنار، وحتى لا يلجأ الزوج إلى ذلك تدرج الإسلام فى علاج حالة نشوز الزوجة على النحو الذى ورد فى هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾[2]

---

(١) حديث حسن رواه أبو داود: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين المجلد الأول ص ٦٦ طبعة دار السلام القاهرة

(٢) النساء: آية ٣٤

وهذه الترتيبات القرآنية تهدف إلى صلاح ذات البين وإرجاع الزوجة إلى حظيرة الطاعة وذلك بخطوات إيجابية من الزوج تتدرج حسب العصيان ودرجته على أن تتم هذه الخطوات داخل بيت الزوجية لا تتعداه إلى غيره.

١ـ الوعظ والإرشاد:

ويكون بتذكير الزوج زوجته بحقه عليها وواجباتها نحوه، وعاقبة عدم الطاعة له وما توعد الله به الزوجة العاصية لزوجها وما وعد الله به الزوجة الطائعة وبالجملة تعتمد الخطوة الأولى فى الإصلاح على الترغيب والترهيب.

وفى ذلك إقبال من الزوج وحرص منه على العلاقة وإصلاح ذات البين وتوضيحا للأمر وما يجده فى نفسه فقد تكون الزوجة غير مدركة بحقوقه عليها فتثوب إلى رشدها، وهكذا يكون الحديث والحوار والتذكير هو الخطوة الأولى فى حل ما قد يثور من خلاف بين الأزواج فإذا لم تصغ الزوجة إلى حديث زوجها وتبصيره ووعظه جهالة أو عنادا فيصبح من الضرورى أن يلجأ الزوج إلى مرحلة أبعد وأن ينتقل إلى خطوة متقدمة هى الفعل إذ لم ينفع النصح والإرشاد.

٢ـ الهجر فى المضجع:

ذلك أن المرأة تعلم بفطرتها ضعف الرجل أمام حاجته الغريزية، فلا يطيق الصبر عليها مدة طويلة، فتستغل المرأة هذا الأمر أحسن استغلال، وتشهر سلاح الأنوثة فى وجه الزوج، فبدلا من الاستجابة للوعظ والإرشاد والتذكير بترك النشوز والإقبال على زوجها بالطاعة والانقياد تستمر فى لعبة الإعراض والعناد، ظنا منها أن الزوج لابد عائدا إليها لا محالة، فإذا رأت منه عزوفا عن فراشها وهجر المضاجعة أدركت بغريزتها خطورة الأمر وجديته، وكثيرا ما تعود المرأة عن لعبة الإعراض والمغايظة وتدرك أن العلاقة الزوجية فى خطر حقيقى فتعرض عن النشوز وتثوب إلى رشدها وتعود بين الزوجين روابط المودة والتراحم أما إذا بقيت الزوجة على حالها من الإعراض والنفور فإن الأمر ولاشك قد أصبح فى مرحلة

حرجة ينذر بالخطر الذى قد يدمر الحياة الزوجية فهل يقف الزوج مكتوف الأيدى إزاء زوجة لا تدرك عواقب الأمور إذا لابد من الخطوة الثالثة"[١]

٣- الضرب غير المبرِّح:

الضرب غير المبرح هو الضرب الخفيف وهو غير الضرب الشديد المنهى عنه شرعا وجاء فى القاموس فى مادة (بَرَّح): برَّح به الأمر تبريحا أى أجهده، وضَرَبَه ضَرْبا مُبَرِّحا بتشديد الراء وكسرها أى شديدا وهو شدة الأذى[٢]

فضرب الزوجة للتأديب مقيد بما ورد فى الحديث فعن حكيم بن معاوية عن أبيه - رضى الله عنه - قال: "قلت يا رسول الله ما حق زوج أحدنا عليه؟ قال: "تطعمها إذا أكلت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تُقَبِّح ولا تهجر إلا في البيت".[٣]

وفى الحديث دليل على جواز ضرب المرأة للتأديب، إلا أنه منهى عن ضرب الوجه للزوجة وغيرها، وقوله لا تقبح أى تسمعها ما تكره وتقول: قبحك الله ونحوه من الكلام الجافى، والضرب غير المبرح مثّل له الفقهاء بالضرب بالسواك وذلك فيما روى عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنه حينما سأله عن معنى "الضرب غير المبرح" "فيكون الضرب هنا أقرب إلى التأنيب والتعبير عن عدم الرضا أكثر منه تعبيرا عن معانى المهانة والأذى"[٤]

يقول الصابونى فى (صفوة التفاسير)[٥]

"لعل أخبث ما يتخذه أعداء الإسلام للطعن فى الشريعة الإسلامية زعمهم أن الإسلام أهان المرأة، حين سمح للرجل أن يضربها، ويقولون كيف يسمح القرآن بضرب المرأة والجواب: نعم لقد أذن الله الحكيم العليم بضربها ولكن متى يكون

---

(١) ضرب المرأة وسيلة لحل الخلافات الزوجية- عبد الحميد أحمد أبو سليمان سلسلة أبحاث علمية المعهد العالمى للفكر الإسلامى الناشر - دار السلام

(٢) مختار الصحاح ص ٤٦

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان - والحكم عن كتاب "فقه الأسرة المسلمة" لحسن أيوب ص ١٢٠

(٤) ضرب المرأة - مرجع سابق

(٥) صفوة التفاسير - محمد على الصابونى - الجزء الأول - ص ٢٥٥

الضرب؟ ولمن يكون؟ إن الضرب غير المبرح ما ورد به الحديث الشريف أحد الطرق فى معالجة نشوز المرأة، وعصيانها لأمر الزوج، فحين تسىء المرأة عشرة زوجها، وتركب رأسها، وتسير بقيادة الشيطان، وتحول الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، فماذا يصنع الزوج فى هذه الحالة؟ لقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الدواء فأمر بالصبر والأناة ثم الوعظ والإرشاد ثم الهجر فى المضاجع، فإذا لم تنجح هذه الوسائل لابد من سلوك طريق آخر هو الضرب غير المبرح لكسر الغطرسة والكبرياء، وهذا أقل ضررا من إيقاع الطلاق وإذا قيس الضرر الأخف بالضرر الأكبر كان حسنا وجميلا، وما أحسن ما قيل "وعند ذكر العمى يستحسن العور" فالضرب طريق من طرق العلاج ينفع فى بعض الحالات التى يستعصى فيها الإصلاح باللطف والإحسان والجميل (فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا).

وصايا الرسول ﷺ بالزوجة

عن عمرو بن الأحوص الجُشَمِيِّ رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ فى حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكّر ووعظ ثم قال: "ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكوهن شيئا غير ذلك"(١)

وجاء فى خطبة حجة الوداع "واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان(٢) عندكم لا يملكن لأنفسهم شيئا وإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

وعن معاوية بن حَيْدَةَ رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: "تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تُقَبِّح ولا تهجر إلا في البيت"(٣)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا وخياركم خيركم لنسائه"(٤)

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح – شرح رياض الصالحين لابن العثيمين – جزء ١ – ص ٦٦٠
(٢) عوان : ضعيفات مثل الأميرة
(٣) حديث حسن رواه أبو داود – المرجع السابق
(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

وعن إياس بن عبد الله بن أبى ذياب قال: قال رسول الله ﷺ "لا تضربوا إماء الله فجاء عمر رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرن[1] النساء على أزواجهن فرّخص فى ضربهن فأطاف[2] بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله ﷺ "لقد أطاف بآل بيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم"[3]

حق الزوج على الزوجة

١ـ القوامة:

يقول الله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)[4] والقوامة هى الولاية والرعاية والمسئولية والتوجيه والنصح والإرشاد، بسبب ما منح الله الرجال من طاقات وإمكانات وقدرات وبما خصهم الله به من الإنفاق على الزوجة والأولاد الأمر الذى يجعل على عاتق الرجال دون النساء السعى والضرب فى الأرض لتوفير النفقات.

وأى تغيير لهذا النظام الربانى يتصادم مع الفطرة، ولا تستقيم به أسرة، ولا ينهض به مجتمع، وليست قوامة الرجال انتقاص لقدر المرأة، إنما هى توزيع للمهام

"فالرجل فى شريعة الله رب البيت وقيم الأسرة، وهذه ميزة تكليف أكثر مما هى تشريف والغرض منها أن يسير البيت وفق نظام سائد لا وفق مآرب متدافعة ورغبات متنازعة، ومن العبث أن تكون شركة من غير رئاسة مسئولة، وترك زمام البيت فى يد المرأة وضع للأمور فى غير نصابها أو تحميل العبء لكاهل ضعيف. والرجل أجدر من امرأته بحق إدارة البيت ورياسة الأسرة فإن ما ذرأه الله عليه من احتمال وصلابة ومقدرة واسعة على الكسب والنفقة كل ذلك يجعله أولى بالترجيح"[5]

---

(١) نئرن: اجترأن
(٢) أطاف: أحاط
(٣) رواه أبو داود بإسناد صحيح
(٤) النساء: آية ٣٤
(٥) هذا ديننا الشيخ محمد الغزالى ص ١٥٥

وإن من أهم أسباب انحرافات الشباب وانغماسهم فى المخدرات والجنس والجريمة هو غياب سيطرة الأب لسيطرة المرأة عليه[1]

٢ـ ألا تدخل فى بيت زوجها أحدًا يكرهه

عن عمرو بن الأحوص الجُشَمِيِّ رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ فى حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكّر ووعظ ثم قال: "ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكوهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ألا إن لكم على نساؤكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يواطئن فُرُشَكم من تكرهون ولا يَأذنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن"[2]

والشاهد من هذا الحديث أن على الزوجة ألا تجلس من يكرهه الزوج على فراش البيت وكأن هذا ضرب مثل والمعنى أن لا يكرمن أحدا تكرهونه بإجلاسه على الفراش، وأن لا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون يعنى: لا يدخلن أحدا البيت وأنت تكره دخوله.

"حدث خلاف ما بين الزوج وأخى زوجته، وقال الزوج لزوجته يمكنك زيارة أهلك فى أى وقت ولكن أخيك هذا فلا يدخل بيتنا تجنبا لتصاعد الخلافات بيننا، وفجأة ذهب أخو الزوجة لزيارة أخته متحديا طلب الزوج وكان الزوج موجودا وحدث استفزاز من كلا الطرفين فطرد الزوج أخا زوجته ولوّح الزوج بسلاح الطلاق. مثل هذه الحالات تحدث كثيرا ولابد لها من علاج لأنها أحيانا تؤدى إلى تفكك الأسرة، وهذه المشكلة المتسببة فيها الزوجة لأنها خالفت أمر رسول الله ﷺ وانتهكت حقا من حقوق الزوج بإذنها لأخيها دخول بيته رغم كراهيته له فكان يتعين عليها أن تقوم هى بزيارته فتجنب زوجها ونفسها وأخيها المشاكل وعلى الزوج أن يتعامل مع هذا الأمر بالحكمة التى تقتضيها علاقة المصاهرة مثل أن

---

(١) منهج التربية الإسلامية – محمد قطب – جزء ٢ – ص ٩٧

(٢) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح – شرح رياض الصالحين لابن العثيمين – المجلد الأول ص ٦٥٩-٦٦٠

يصبر حتى تنتهى زيارة أخيها ثم يعاتب زوجته ويطلب منها عدم تكرار ذلك وفاء لحقها عليه وامتثالا لأمر رسول الله ﷺ فعسى الله أن يجعل لها مخرجا وأن يهيئ لها من أمرها رشدا"[١]

٣ـ ألا تمكن أجنبيا من الخلوة بها:

عن عامر بن أبى ربيعة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له فإن ثالثهما الشيطان"[٢]

إن ميل الرجل للمرأة والمرأة للرجل أمر فطرى غريزى خاصة إذا كانت المرأة ليست من المحارم. فإذا ما حدثت خلوة بينهما تحول هذا الميل الفطرى إلى خواطر قلبية ونفسية سيئة لدى الطرفين، يحركها طرف ثالث خفى قوى عدو وهو الشيطان الذى يدفع الطرفين إلى الاستجابة إلى نداء الغريزة دفعا قويا، فيتحول الميل الغريزي والخاطر النفسى إلى شهوة عارمة لا يمكن دفعها أو مقاومتها ثم تحدث الكارثة.

يقول الإمام ابن القيم فى كتابه "الفوائد":

"دافع الخطرة فإن لم تفعل صارت شهوة، فحاربها فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمه، فإن لم تدافعها صارت فعلا، فإن لم تتداركه بضده صارت عادة فيصعب عليك الانتقال عنها، واعلم أن مبدأ كل علم اختيارى هو الخواطر والأفكار، فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلىالإرادات، والإرادات تقتضى وقوع الفعل وكثرة تكراره تعطى العادة، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار وفسادها بفسادها"[٣]

هذه الصراعات النفسية بمراحلها المختلفة تحدث عند الخلوة بين الرجل والمرأة تحدث تحت إشراف الشيطان وقيادته، الذى يسوق الطرفين إلى فعل كل منكر مثل الزنا أو توابعه، لذلك قطع الإسلام الطريق على الشيطان بتحريم الخلوة بين الرجل والمرأة صونا وحماية لهما وحرصا على استقرار الأسرة.

---

(١) الرجل والبيت بين الواجب والواقع – الدكتور حسين شحاته – ص ٩٦ بتصرف وإضافة

(٢) رواه أحمد

(٣) رسالة المسترشد للحارث المحاسبى – تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ص ٤٧ طبعة دار السلام – القاهرة

٤ـ الطاعة:

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: "لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"(١).

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "أيما امرأة باتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة"(٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح"(٣)

وعن أبى أمامه قال: أتَتْ النبى ﷺ امرأة مع صبيان لها قد حملت أحدهما وهى تقود الآخر فقال رسول الله ﷺ "حاملاتٌ والداتٌ رحيماتٌ لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة"(٤)

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ "لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوما من غير شهر رمضان إلا بإذنه"(٥) فإن لم يأذن لها وصامت أثمت(٦).

عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤسهم شبرا: رجل أمَّ قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان"(٧)

٥ـ القيام على شئون الزوج والبيت.

٦ـ مراعاة مشاعر الزوج وطباعه:

عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت: "تزوجنى الزبير وماله فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح(٨) وغير فرسه فكنت أعلف

---

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح
(٢) رواه الترمذى وقال: حديث حسن
(٣) متفق عليه أخرجه البخارى فى بدء الخلق
(٤) سنن بن ماجه الجزء الأول – ص ٦٤٨
(٥) ابن ماجه الجزء الأول – ص ٥٦٠
(٦) فقه السنة للسيد سابق جزء ٢ – ص ١٧٣
(٧) متصارمان: متقاطعان – سنن ابن ماجه الجزء الأول – ص ٣١١
(٨) الناضح: الجمل الذى يسقى عليه الماء

فرسه واستقى الماء وأخرز غَرْبَه[1] وأعجن ولم أُحْسِنُ أخبز وكان يخبز لى جارات من الأنصار وكنّ نسوة صدق[2] وكنت أنقل النوى من أرض الزبير - التى أقطعه رسول الله ﷺ - على رأسى وهى منى على ثلثى فرسخ: فجئت يوما والنوى على رأسى فلقيت رسول الله ﷺ معه نفرٌ من الأنصار فدعانى ثم قال: إخْ إخْ[3] ليحملنى خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته - وكان أَغْيَرَ الناس فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت لقينى رسول الله ﷺ وعلى رأسى النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال: والله لحملك النوى كان أشد علىَّ من ركوبك معه قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفينى فكأنما أعتقنى"[4]

ترسم هذه القصة صورة حية نابضة بالحركة والحياة للمرأة المسلمة وعلاقتها بزوجها وجيرانها حتى لكأننا نرى أحداثها وأبطالها رأى العين، أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما حينما تتحدث عن أبيها ومكانته ومنزلته وعلو شأنه يتراجع القلم ويتقهقر عن الحديث لتتقدم كلمات الله سبحانه وتعالى وأحاديث نبيه يقول الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠)

ويتحدث الرسول ﷺ عن أبى بكر فيقول: "لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخى وصاحبى"[5] "لو كنت متخذا خليلا لاتخذته خليلا ولكن أخوة الإسلام أفضل"[6]

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: "كنا نُخَيِّر بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم"[7]

---

(١) الغَرْب: الدلو العظيمة أى أخيط دلوه
(٢) نسوة صدق: يحسنّ العشرة والوفاء بالعهد
(٣) إخ إخ: كلمة تقال للبعير لمن أراد أن ينخيه
(٤) رواه البخارى - فتح البارى - جزء ٩ - ص ٢٣٠
(٥) رواه البخارى- فتح البارى - جزء ٧ - ص ٢١
(٦) رواه البخارى- فتح البارى - جزء ٧ - ص ٢١
(٧) المرجع السابق

عن أبى إدريس الخولانى قال سمعت أبا الدرداء يقول: كانت بين أبى بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر عمرَ فانصرف عنه عمر مغضبا فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه فى وجهه فأقبل إلى رسول الله ﷺ - فقال أبو الدرداء ونحن عنده- فقال رسول الله ﷺ: أما صاحبكم هذا فقد غامر قال وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبى ﷺ وقص على رسول الله الخبر. قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم فقال رسول اله ﷺ هل أنتم تاركو لى صاحبى؟ هل أنتم تاركو لى صاحبى؟ هل أنتم تاركو لى صاحبى؟ إنى قلت: يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت قال أبو عبد الله غامر سبق بالخير[1]

وحينما أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب التى تفتح فى المسجد وتتصل ببيوت الصحابة التى كانت حول المسجد فيدخلون منها استثنى باب أبى بكر وأبقاه مفتوحا[2] ويعرف الآن بباب أبى بكر بعد باب السلام. هذه مكانة أبى بكر رضى الله عنه عند الله وعند الرسول ﷺ وعند الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ورغم ذلك تتزوج كريمته أسماء الزبير بن العوام وليس فى بيته من خدم ولا حشم، فكانت هى الزوجة الوفية المطيعة، والخادمة تجلب الماء للبيت مثلما تجلب علف الفرس من أماكن بعيدة، وتأبى أن تركب الجمل خلف رسول الله ﷺ ومعه جمع من الرجال مراعاة لمشاعر زوجها الغيور.

٧- ألا تخرج من بيته إلا بإذنه.

٨- ألا ترهق زوجها بالإكثار من النفقات.

٩- أن تأخذ كامل زينتها وهيئتها أمام زوجها.

١٠- أن ترضيه إذا غضب.

---

(١) فتح البارى - لابن حجر العسقلانى - جزء ٨ - كتاب التفسير - ص ١٥٣

(٢) فتح البارى - مناقب أبى بكر

١١ـ أن تعترف بجميله ولا تجحد فضله وإحسانه[١]

هذه الحقوق بعضها يجب على الزوجة قضاءً مثل القوامة والطاعة ومنها ما يجب مروءة وإحسانا عملا بما ورد عن رسول الله أن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل جهادها فى سبيل الله.

١٢ـ أن تستقبله ـ عند دخوله البيت ـ بوجه تعلوه البشاشة والسرور ولا تصدمه بمشاكل البيت والأولاد.

١٣ـ توفير السكينة فى البيت:

على الزوجة العمل على استقرار البيت وهدوئه وتقوية المودة بينها وبين زوجها فتتجمل فى بيتها فلا يرى منها إلا كل جميل، ولا يقع نظره على سوء منها وأن تربط مصيرها بمصيره ورضاها برضاه، فتعينه على عمله ودعوته وتخفف عنه الأثقال ولا تضيف إلى همومه وتقضى له حاجته قبل أن يطلبها[٢]

فإذا قامت المرأة بما أوجبه الإسلام عليها من كمال الطاعة لزوجها كانت كالمجاهد فى سبيل الله فلقد روى ابن عباس رضى الله عنهما: أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك: هذا الجهاد كتبه الله على الرجال فإن يصيبوا أجروا وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ونحن معشر النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك؟ فقال الرسول ﷺ : "أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك وقليل منكن يفعله".

ومن عظم حق طاعة الزوج أن قرنه الرسول ﷺ بأداء الصلاة والصيام فعن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: "إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت"[٣] وعن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة".

---

(١) قراءة فى كتاب "أيها الضرّابون للنساء ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء" مجلة الوعى الإسلامى الصادرة فى الكويت – العدد ٤٥٧ رمضان ١٤٢٤ – أكتوبر ونوفمبر ٢٠٠٣ بقلم جمال عبد الرحمن عرض أحمد رمضان

(٢) وصايا إلى العروسين – د/ حسين شحاته

(٣) رواه أحمد والطبرانى – فقه السنة – الجزء الثانى – ص ١٧٢

وأكثر ما يدخل المرأة النار عصيانها لزوجها وكفرانها إحسانها إليه فعن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: "اطلعت فى النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن العشير لو أحسَنتَ إلى إحدهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط"(١)

"ومن الرذائل النفسية تحقير نعمة الزوج وتقليل شكرها إن المرأة التى تبنى سلوكها على جحد زوجها وكفر نعمته تخط لنفسها طريقا إلى النار.

ونسيان الجميل شائع فى خلائق الناس رجالا وإناثا كأن تقدير النعمة واحترام صاحبها عبء جسيم. وذلك ضرب من الخسة قد يغرى بعض الناس بترك الإحسان على نحو ما قال الشاعر:

وزهدنى فى كل خير صنعته إلى الناس ما جربت من قلة الشكر

لكن التقاطع فى الحياة العامة قد يكون له مكان أما أن يلمح الرجل فى خلق زوجته كنودًا لا إقرار معه بنعمة ولا اعتراف معه بفضل فهذا من أكبر سيئات المرأة وقد عده النبى ﷺ ذريعة لاستحقاق الزوجة عذاب الله وفى الحديث "لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا شكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه"(٢)

حقوق الزوجين فى مشروع القانون العربى الموحد للأحوال الشخصية

(المادة ٤٠): الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين:

١) حل استمتاع كل من الزوجين بالزوج الآخر.
٢) إحصان كل منهما الآخر.
٣) المساكنة الشرعية.
٤) حسن المعاشرة وتبادل الاحترام والعطف والمحافظة على خير الأسرة.
٥) العناية بالأولاد بما يكفل تنشئتهم تنشئة صالحة.
٦) احترام كل منهما لأبوى الزوج الآخر وأهله والأقربين.

---

(١) رواه البخارى
(٢) هذا ديننا – الشيخ محمد الغزالى – ص ١٥٨ – ١٥٩ طبعة دار الشروق

(المادة ٤١): **حقوق الزوجة على زوجها:**

١) النفقة.
٢) السماح لها بزيارة أبويها ومحارمها واستزارتهم بالمعروف.
٣) الاحتفاظ باسمها العائلى.
٤) عدم التعرض لأموالها الخاصة فلها التصرف فيها بكل حرية.
٥) عدم إضرارها ماديا.
٦) العدل بينها وبين بقية الزوجات إن كان للزوج أكثر من زوجة.

(المادة ٤٢) : **حقوق الزوج على زوجته:**

١) العناية به وطاعته بالمعروف باعتباره رب الأسرة.
٢) الإشراف على البيت وتنظيم شئونه والحفاظ على موجوداته.
٣) رعاية أولاده منها وإرضاعهم إلا إذا كان هناك مانع.

أم سليم المثل الأعلى للمرأة المسلمة

أم سليم صحابية جليلة عز مثيلها فى النساء، اسمها الرميصاء وقيل الغميصاء بنت ملحان بن خالد، كانت زوجة لمالك بن النضر وأنجبت منه أنس خادم رسول الله ﷺ أسلمت وأنس رضيعا ولم يسلم زوجها ويذكر ابن سعد بسنده عن اسحاق بن عبد الله عن جدته أم سليم قال لها: أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكن آمنت بهذا الرجل فجعلت تلقن أنسا وتشير إليه قل لا إله إلا الله قل أشهد أن محمد رسول الله ففعل ويقول أبوه: لا تفسدى علىَّ ابنى فتقول: إنى لا أفسده فغضب الأب مصرًا على كفره وذهب يضرب فى الأرض وقد يكون متوجها إلى الشام فلقيه عدو له فقتله.

بلغ أم سليم مقتل والد أنس فقالت: لا جرم لا أفطم أنسا حتى يدع ثدى ولا أتزوج حتى يأمرنى أنس فيقول أنس: قد قضت الذى عليها.

أم سليم الداعية

"شخصية أم سليم رضى الله عنها هى المرأة القوية فى دينها، الداعية للإسلام كلما سنحت الفرصة، مع أبى طلحة عندما جاء خاطبا لها فقالت: والله ما مثلك يا

أبا طلحة يرد ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لى أن أتزوجك فإن تسلم فذاك مهرى ولا أسألك غيره فأسلم فكان ذلك مهرها[1]

وعن أنس بن مالك أن أبا طلحة خطب أم سليم فقالت: يا أبا طلحة تعلم أن إلهك الذى تعبده خشبة نبتت من الأرض. قال بلى فقالت: ألا تستحى أن تعبد خشبة من الأرض نجرها حبشى بن فلان؟ إن أنت أسلمت فإنى لا أريد صداقا غيره قال: حتى أنظر فى أمرى قال: فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالت: يا أنس زوج أبا طلحة[2]

هذه هى الصحابية المؤمنة القوية العاقلة تناقش الرجل المشرك مناقشة تكشف له فيها مدى سخف ما يعبد ومدى غياب عقل العابد للخشب والحجر وتنتهى المناقشة بدخول هذا المشرك فى دين الحق ويشهد شهادتى الحق، ويكشف هذا الموقف صفة أخرى طيبة بهذه الصحابية الجليلة وهى صفة التضحية والبذل فى مقابل الإسلام فتعتبر إسلام أبى طلحة هو مهرها. وأبو طلحة كان من أثرياء الأنصار فكان ولابد أنه سيعرض مهرا كبيرا ولكن أم سليم تتنازل عن المهر لقاء إسلامه ويتم الزواج لقاء إسلام أبى طلحة وهو أغلى مهر يمكن أن يقدم لزوجه"[3]

أم سليم المجاهدة

يروى مسلم فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى"[4]

كانت أم سليم فى مقدمة النسوة اللاتى يختارهن رسول الله ﷺ لهذه المهمة لما عرف عنها من الشجاعة ورباطة الجأش، ففى غزوة أحد باشرت وظيفتها فى سقى الجرحى وكان ترافقها عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنهما ففى صحيح البخارى بسنده عن أنس ﷺ قال: "لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ قال:

---

(١) السنن الكبرى: (٣١٢/٣)، الطبرانى: (٩١/٥)
(٢) الغيلانيات – تحقيق المستشار الدكتور فاروق بن عبد العليم
(٣) خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك – للدكتور المستشار فاروق بن عبد العليم ص ٦٢ وما بعدها
(٤) مسلم بشرح النووى

ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما[1] تنقلان القرب وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه الأقوام"[2]

وهكذا كان شأن أم سليم رضى الله عنها فى الغزوات التى خرجت فيها ولكن ظهرت لأم سليم رضى الله عنها صورة أخرى من الشجاعة فى غزوة حنين فكانت تحمل خنجرا حزمته على وسطها تخوفا منها أن يصل إليها أحد من المشركين فتدفع به عن نفسها يقول أنس ﷺ جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله ألم تر إلى أم سليم معها خنجرا فقال لها رسول الله: ما تصنعين يا أم سليم؟ قالت: أردت إن دنا منى أحد طعنته به[3] ولم تكن هذه المرة الأولى التى تحمل فيها أم سليم السلاح فقد كانت تحمل خنجرا فى غزوة أحد[4]

وهذه المرأة الشجاعة المؤمنة ساءها فرار من فر من الجيش فى بداية معركة حنين فتقول لرسول الله ﷺ بأبى أنت وأمى يا رسول الله أقتل الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل فيقول رسول الله ﷺ وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم أو يكفى الله يا أم سليم[5] وفى رواية أخرى تقول أم سليم أقتل الطلقاء وأضرب أعناقهم انهزموا بك فيبتسم رسول الله بأبى هو وأمى ويقول "يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن"[6]

وكانت أم سليم فى هذه الغزوة حاملا بوليدها عبد الله بن أبى طلحة الذى حمله أنس بعد ولادته إلى رسول الله ﷺ فحنكه وكان أول شىء دخل جوف ريقه ﷺ ودعا له بالبركة فكان له من الأولاد تسعة كلهم قد قرأ القرآن[7]"[8]

---

(١) الخدمة: موضع الخلخال من الساق أو هى الخلخال
(٢) جامع مسانيد البخارى – محمد فؤاد عبد الباقى
(٣) مسند أحمد : (١١٥/١٩) صحيح على شرط الشيخين
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد: (٤٢٥/٨)
(٥) السيرة النبوية لابن هشام: (٥٨/٤ – ٥٩) وتاريخ الطبرى: (٧٦/٣ – ٧٧)
(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد: (٤٢٥/٨)
(٧) الإصابة لابن حجر (٦٠/٣)
(٨) خادم الرسول ﷺ أنس بن مالك – الدكتور المستشار فاروق بن عبد العليم

أم سليم الزوجة

منح الله أم سليم إيمانا قويا وعقلا راجحا بهما كان تعاملها مع زوجها فوفرت له كل أسباب السعادة الزوجية ولنفسها أيضا وما فارقها التزامها بدينها أبدا حتى أحلك الأوقات وأشد الأزمات.

روى أحمد والبخارى وغيرهما واللفظ لأحمد بسنده عن أنس قال: اشتكى ابن لأبى طلحة فخرج أبو طلحة إلى المسجد فتوفى الغلام فهيأت أم سليم الميت وقالت لأهلها: لا يخبرن أحد منكم أبا طلحة بوفاة ابنه فرجع إلى أهله ومعه ناس من أهل المسجد من أصحابه قال: ما فعل الغلام؟ قالت: خير ما كان فقربت إليهم عشاءهم هم فتعشوا وخرج القوم وقامت المرأة إلى ما تقوم إليه المرأة فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها فلما طلبت كأنهم كرهوا ذلك قال: ما أنصفوا قالت: فإن ابنك كان عارية من الله تبارك وتعالى وإن الله قبضه فاسترجع وحمد الله فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فلما رآه قال: "بارك الله لكما فى ليلتكما" فحملت بعبد الله فولدته ليلا وكرهت أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله ﷺ[1]

وعند البخارى قال سفيان (هو سفيان بن عيينه راوى الحديث): فقال رجل من الأنصار فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن وهو أولا عبد الله هذا الذى حنكه رسول الله ﷺ ودعا له بالبركة[2]

وهذا الذى مات هو الولد الأول لأم سليم من أبى طلحة وهو أبو عمير وكان صبيحا وكان يحبه أبو طلحة حبا شديدا[3] وكان رسول الله ﷺ يمازحه ويقول: "يا أبا عمير ما فعل النغير" طير كان يلعب به[4]

"وهذه القصة الصحيحة تكشف عن أن أم سليم أخذت أحكام الشرع بالقوة قوة فى الصبر عند موت ابنها الوحيد من أبى طلحة، وقوة فى إعطاء الزوج حقه وإبعاد ما يكدره لعلمها بحبه الشديد لابنه ولو علم بوفاته لما بلغ منها حاجته، ثم

---

(١) مسند أحمد – البخارى مع الفتح (٣/ح ١٣٠١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٤٣١ – ٤٣٢)
(٢) البخارى مع الفتح (٣/١٣٠١)
(٣) فتح البارى (٣/١٧٠)
(٤) مسند أحمد (١٩/٢٣٣)

قوتها فى اليقين أن الله سبحانه سيخلف عليها ويجزيها أجر الصبر، ثم قوة إيمانها فى فهم حقيقة عطاء الأولاد وأنها هبات من الله سبحانه هو مالكها يعطيها لمن يشاء وفى الوقت الذى يريده ويأخذها كذلك ممن يشاء وفى الوقت الذى يحدده سبحانه وتعالى وهكذا كان شأن أم سليم فى حياتها قوة فى إيمان وإيمان فى قوة"[1]

دعت إلى الله فكانت نعم الداعية، وجاهدت فى سبيل الله فضربت أروع الأمثال فى شجاعة المرأة المسلمة، تزوجت بأبى طلحة فكانت نعم الزوجة الحريصة على زوجها، حيث هيأت له حياة سعيدة هانئة، لا تكدر صفوها نوائب الدهر ولا مصيبة الموت، فتهيئ نفسها لزوجها فيصيب منها رغم أن ابنها الوحيد منه مسجًى على فراش الموت، فعوضها الله عنه بخير ما يكون العوض، فياليت النساء اليوم يتأسين بأم سليم الزوجة والداعية والمجاهدة، ولو أنهم تأسوا بها كزوجة فحسب وفعلوا مع أزواجهن عشر ما فعلته مع زوجها أبى طلحة لما كان فى بيوتهن مشكلات ولا منغصات.

وربما سول لهم الشيطان بأن يتندرن بصنيع أم سليم هذا مع زوجها أبى طلحة، فإن فعلن ذلك فهو صنيع العاجزات اللاتى يعشن فى السفح حيث قصرت بهن همتهن عن الرقى والسمو إلى ما سمت إليه همة أم سليم بقوة إيمانها والتزامها بدينها، لكن الكثير من نساء هذا العصر ارتضين وقنعن بالعيش فى السفوح فلا هن حاولن الصعود إلى القمة ولا حتى تطلعن إليها فطارق الباب لابد أن يلج وأول الغيث قطر ثم ينهمر، لكنهن قبعن فى مستنقع الفكر الغربى وتمرغن فى أوحاله، وتجاهلن ثقافة الإسلام وتكريمه للمرأة وإفساح المجال لها لتأخذ دورها فى المجتمع وتتبوأ المكانة فيه فى ظل تعاليم الإسلام.

أم سليم الأم

حرصت أم سليم على تنشئة ابنها التنشئة الإسلامية فعهدت به إلى بيت النبوة خادما لرسول الله ﷺ يقول أنس ﷺ فيما رواه أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين "أخذت أم سليم بيدى مقدم النبى ﷺ المدينة فأتت به رسول الله ﷺ فقالت:

---

(١) خادم الرسول ﷺ أنس بن مالك – الدكتور المستشار فاروق بن عبد العليم ص ٦٦

يا رسول الله هذا ابنى وهو غلام كاتب قال: فخدمته تسع سنين فما قال لى لشىء قط صنعته أسأت أو بئس ما صنعت"[1]

فحاز أنس شرفا لم يسبق إليه إذ تربى فى بيت النبوة فى المدينة طيلة عصر النبوة منذ أضاءت المدينة بنور رسول الله ﷺ إلى أن لحق بالرفيق الأعلى حيث أظلمت المدينة بكل ما فيها روى أحمد بسنده عن أنس قال: "شهدته يوم دخل علينا المدينة فلم أر يوما أضوأ منه وشهدته يوم مات فلم أر يوما أقبح منه" وفى رواية "فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ أظلم من المدينة كل شىء".

وحين توجهت بأنس إلى رسول الله ﷺ لكى تحوز شرف خدمته قالت لرسول الله ﷺ : "يا رسول الله هذا أنيس ابنى أتيتك به يخدمك فادع الله له فقال: اللهم أكثر ماله وولده" قال أنس: "فوالله إن مالى لكثير وإن ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة اليوم"[2]

وكانت أم سليم حينما تسمع صوت رسول الله ﷺ وهو يمر من أمام دارها فلا تضيع هذه الفرصة فتسأله الدعاء لولدها يروى مسلم بسنده عن أنس بن مالك: قال مر رسول الله ﷺ فسمعت أمى أم سليم صوته فقالت: بأبى وأمى يا رسول الله أنيس فدعا لى رسول الله ﷺ ثلاث دعوات قد رأيت منها اثنتين فى الدنيا وأنا أرجو الثالثة فى الآخرة.

روى الإمام بسنده عن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ على أم سليم فأتته بتمر وسمن وكان صائما فقال: "أعيدوا تمركم فى وعائه وسمنكم فى سقائه" ثم قام إلى ناحية البيت فصلى ركعتين وصلينا معه ثم دعا لأم سليم ولأهلها بخير فقالت: إن لى خويصة قال: "ماهى؟" قالت: خادمك أنس قال: فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لى به وقال: "اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له فيه"[3]

---

(١) المسند (١٩/٢٧٥) و (٢٠/٣٥٦)
(٢) صحيح مسلم: (١٦/٣٤)
(٣) المرجع السابق

"وهكذا كان ينال أم سليم رضى الله عنها وأهلها دعاء الرسول ﷺ بغير طلب منها لعلم رسول الله ﷺ برغبتها فى هذا الدعاء ولحب رسول الله ﷺ الخير لصحابته بل ولأمته جميعا"[1]

رحم الله أم سليم ورضى عنها وجزاها عن زوجها وابنها ودينها خير الجزاء، وهنيئا لها بما بشرها بها محمد ﷺ روى مسلم فى صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "أريت الجنة فرأيت امرأة أبى طلحة.." كما روى النسائى فى "الكبرى" بسنده عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال: "... فإذا بالرميصاء امرأة أبى طلحة أم سليم"[2]

قصة زوج وزوجة

لقى الشعبى شريحاً القاضى فسأله عن حاله فى بيته، فقال شريح من عشرين عاماً لم أر ما يغضبنى من أهلى، قال له وكيف ذلك، قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتى، رأيت فيها حسنا فاتناً، وجمالاً نادراً، قلت فى نفسى: فلأطهر وأصلى ركعتين شكراً لله، فلما سلمت، وجدت زوجتى تصلى بصلاتى وتسلم بسلامى، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمت إليها فمددت يدى نحوها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلى على محمد وآله، إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك، فبين لى ما تحب فآتيه، وما تكره فأتركه، وقالت: إنه كان لك فى قومك من تتزوجه من نسائكم، وفى قومى من الرجال من هو كفء لى، ولكن إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أقول قولى وأستغفر الله لى ولك!!

قال شريح: فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على النبى وآله وسلم، وبعد، فإنك قلت كلاما إن تثبتى

---

(١) خادم الرسول ﷺ أنس بن مالك ﷺ – الدكتور المستشار فاروق بن عبد العليم ص ٦٩ وما بعدها

(٢) سنن النسائى الكبرى

عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها.

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلى؟ قلت: ما أحب أن يملنى أصهارى. فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له، ومن تكره فأكره؟ قلت بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء، قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة وعشت معها حولا لا أرى إلا ما أحب. فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بفلانة فى البيت قلت ما هى؟ قالوا: ختنك (أى أم زوجك) فالتفتت إلى وسألتنى: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة. قالت: يا أبا أمية أن المرأة لا تكون أسوأ حالا منها فى حالين: إذا ولدت غلاما، أو حظيت عند زوجها، والله ما حاز الرجال فى بيوتهم شرا من المرأة المدللة. فأدب ما شئت أن تؤدب وهذب ما شئت أن تهذب.

فمكثت معى عشرين عاما لم أعتب عليها فى شىء إلا مرة واحدة وكنت لها ظالما. . هكذا فلتكن النساء.

نحو أسرة مستقرة

بينا فيما سبق أن الزواج هو الوسيلة المشروعة للحفاظ على النسل وبقاء المجتمعات، ويتحقق ذلك بأن يكون بناء الأسرة قويا متينا، حتى يتم المقصود ويتحقق الغرض المنشود فى إيجاد الذرية الصالحة واستمرارية الحياة الزوجية، فإذا لم يقم البنيان على دعائم قوية سرعان ما يتطرق الضعف إليه الذى ربما يؤدى إلى انهيار البنيان الأسرى، الذى شُيِّدَ ليبقى ويدوم، وإن استمر البناء بما فيه من عطب دون إصلاح سرت العدوى إلى نتاج الأسرة كلها الذى لا يصلح لأن يُشَيَّد عليه مجتمع سليم قوى.

ولقد تبين لى من خلال عملي فى قضايا الأسرة أن الخلل فى الأسرة إنما ينتج عن مخالفة شرعية، وقد تكون هذه المخالفة منذ تكوين الأسرة، مثل أن يتزوج الرجل بامرأة وهدفه الأساسى من هذه الزيجة الطمع فى مال زوجته فتأبى الزوجة تلبية رغباته عندئذ تنشب المشاكل بين الطرفين، لأن الزوج خالف سنة كونية وحاد عن الهدف الأسمى للزواج كما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد يتزوج

الرجل المرأة لمجرد انبهاره بحسنها وجمالها، ويغض الطرف عن التزامها بالدين، فسرعان ما تتمرد على زوجها خاصة إذا كان الزوج قد ثاب إلى رشده وعاد إليه صوابه وأدرك عمليا أن الجمال وحده غير كاف لتحقيق السعادة الأسرية، فيطالب زوجته بالالتزام بالدين فى الشكل والمضمون، فينتابها الغرور بجمالها لأن الشيطان قد سول لها أنها تستمد مكانتها فى المجتمع من جمالها ومن زينتها التى تبديها يريد الزوج أن يسلبها إياها بإلزامها بأحكام الإسلام فى الملبس والزينة.

المخالفات الشرعية عند تكوين الأسرة

ومن المخالفات الشرعية التى تحدث عند تكوين الأسرة

١ـ عدم الكفاءة بين الزوجين:

والكفاءة بين أسرة الزوجين من حيث المستوى الاجتماعى أمر له اعتباره فى الشريعة الإسلامية، فتفاوت المستوى الاجتماعى بين الأسرتين ينجم عنه استعلاء الطرف الأعلى مكانة وجاها على الطرف الأدنى.

يقول الدكتور حسين شحاته فى كتابه "الرجل والبيت بين الواجب والواقع":

"تعرف شاب متدين فى الجامعة على فتاة شابة متدينة، الشاب من أسرة فقيرة والفتاة من أسرة غنية وكان معيار الاختيار هو التدين، ساعدت أسرة الفتاة الشاب ماديا وقدمت له شقة للسكن وحدث خلاف بين الزوجين وتدخل أهل الزوجة وجرحوا شعور الزوج ومنوا عليه بما قدموا له من مساعدات مادية وأهانوا كرامته أمام زوجته وتكرر هذا الموقف عدة مرات عندما كان يحدث خلاف بين الزوج وزوجته. ولقد استشعر الزوج بفقدان القوامة وأصرّ على الطلاق وهدم كيان الأسرة"

وحتى لا تحدث مثل هذه المشكلات يتعين على الشاب والفتاة ألا ينساقا وراء عواطفهما ويهدرا شرط الكفاءة فى الزواج، فيتعين على الفتاة ألا توافق على الزواج من شاب مستواه الاجتماعى والأسرى أدنى من مستوى أسرتها، كما يتعين على الشاب الراغب أن يراعى هذا الأمر لأن الزواج هو ارتباط بين أسرتين ولا يمكن أن يكون هناك توافق أسرى مع وجود تفاوت ثقافى واجتماعى بين الأسرتين

فضلا عن ذلك فإن الكفاءة شرط لصحة الزواج، وجرى قضاء المحاكم الشرعية على أن عدم كفاءة الرجل للمرأة مانع من صحة زواجهما إذا لم يرض به ولى الزوجة بعد ثبوت عدم الكفاءة قضاءً.

وأن عقد البالغة العاقلة بدون رضا وليها وإذنه يكون صحيحا إذا كان الزوج كفئا، وأن الكفاءة فى النكاح ليست قاصرة على أشياء مخصوصة، وتعتبر الكفاءة فى النسب والحسب والجاه والمركز الاجتماعي والمالى والوظيفى.

٢ـ المغالاة فى تأثيث بيت الزوجية:

فقد تشترط بعض الأسر على الشاب الذى جاء خاطبا إحدى بناتها أن يؤسس مسكن الزوجية على نحو يرهقه فيوافق رغبة منه فى إتمام الزواج دون أن يتدبر الأمر فيكلف نفسه ملا يطيق وفى سبيل ذلك يغرق نفسه بالديون وربما يعجز عن سدادها وهنا تنشأ الخلافات بينه وبين زوجته وتتفاقم بسبب الخطأ فى تكوين الأسرة ومخالفة ما درج عليه العمل فى العهد النبوى من تأثيث بيت الزوجية على نحو لا يسبب عنتا للزوج كما حدث فى زواج السيدة فاطمة الزهراء من الإمام على بن أبى طالب(١)

٣ـ إخفاء عيوب المخطوبة عن الخاطب أوالعكس:

قد يكون فى المخطوبة بعض العيوب التى لو عرفها الخاطب لما أقبل على الزواج منها ولم يستطع معرفتها فى فترة الخطوبة، وقد يكون فى الخاطب أيضا بعض العيوب مثل عدم قدرته على إتيان النساء أو به مرض أو عقم أو غيره من العيوب التى تؤدى إلى فسخ الزواج وهذه الأمور مبينة بالتفصيل فى كتب الفقه الإسلامى فمن أراد المزيد فليرجع إليها.

فعلى الطرفان أن يوضحا كل شىء ويستحسن أن يقوم كل طرف أثناء فترة الخطوبة بعرض نفسه على الأطباء المتخصصين ليتبين خلوهما من أى مرض يعكر صفو الحياة الزوجية ويتعين إجراء التحاليل الطبية لبيان خلو الطرفين من موانع الإنجاب، وبذلك تقوم الحياة الزوجية على أسس واضحة أما إذا كتم كل طرف عيوبه فلا تستقيم الحياة الزوجية.

---

(١) يراجع ص ٤٠ من هذا الكتاب

٤ـ إغفال الدين فى اختيار الزوجة:

فاختيار رقيقة الدين هو أس البلاء ومجمع المشاكل الأسرية وافتقاد الدين هو افتقاد الدنيا فلا دنيا لمن لم يحيى دينه.

فلن ترِ منها إلا ما يسيئك ويعكر صفو حياتك وإياك أن تعترض أو تمتعض فأنت قد خُيرت فاخترت فلا تلومن إلا نفسك بمخالفتك أمر رسول الله باختيار ذات الدين وتستمر الحياة الزوجية على هذا التحو كسيحة عرجاء متعثرة إلا أن يتغمد الله هذه الأسرة برحمته فتأوى الزوجة إلى حظيرة الدين فتستقيم الأمور على شرع الله وتصلح الحياة تحت ظلاله، وإلا كان التفريق بعد اليأس من الإصلاح وفقدان الأمل فى عودة الزوجة إلى رحاب الدين

فـــإن قضـــى الله تفـــريقا فـــنازلةٌ إن تلـــقَ صـــبرا فطوبـــى للذى صبرا
وربمـــا كـــان فـــى الـــتفريق منفعة قـــد يـــبرأ الجســـم من عضو إذا بُتِرا

٥ـ سوء اختيار أسرة الزوجة

سبق أن ذكرنا أن الأسرة هى المنبت والمحضن التى نمت فى الزوجة فإن كان المنبت سيئا كان النبت أسوء حالا، ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ أن ندقق فى أحوال الأسرة التى سنختار منها الزوجة، فقال: "إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء" وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن"[1] وكثيرا ما تظهر ملكة التقوى تبعا لأبويه أو لأحدهما أو للعم أو للخال ورى الدارقطنى عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "تخيروا لنطفكم المواضع الصالحة".

ومن السهل جدا معرفة الأسرة وطباعها وذلك بالتحرى ويعرف ذلك عن طريق الأقارب ومن صاهرهم قبلك وتزوج منهم ولكن الذى يحدث أن يختار راغب الزواج زوجته على أساس رؤية عابرة فى الشارع أو فى الجامعة أو مكان العمل ثم يتقدم لخطبتها ويلاقى فى بادئ الأمر الترحيب من الأسرة حتى يتم الزواج وبعد

---

(١) رحمة الإسلام بالنساء للشيخ محمد الحامد ص ٤٠-٤١ وفى رواية ابن ماجه والبيهقى "تخيروا لنطفكم الأكفاء وانكحوا إليهم" نقلا عن منهج التربية النبوية للطفل – للشيخ محمد نور عبد الحفيظ ص ٢٩-٣٠

فترة قد لا تطول تظهر سلبيات الأسرة فى صور عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر النظر إلى الزوج على أنه بقرة حلوب تدر الخير والمال عليهم وإلا ألبوا عليه زوجته وأحالوا حياته إلى شقاء مقيم واستغلال الزوج على النحو قد تشارك فيه أيضا الزوجة التى خطبها من أول نظرة وارتبط بها فى لحظة ولو أن الزوج راعى هدى النبى ﷺ فى حسن اختيار أسرة الزوجة لما شقى بسوء اختياره.

٦ـ عدم رؤية المخطوبة الرؤية الكافية

أمر رسول الله ﷺ بالنظر إلى المخطوبة وعلل ذلك بأنه أحرى بدوام العشرة مستقبلا والنظر الذى تدوم به العشرة هو النظرة الفاحصة التى يدرك بها محاسن المخطوبة التى ترغبه فيها لأن كل راغب فى الزواج عنده تصور كامل للمواصفات الجمالية فى من يريدها زوجة ومن ثم أباحت الشريعة الإسلامية النظر إلى ما يظهر من المرأة كالوجه والرقبة واليد والقدم لأن مواطن الجمال فى المرأة تكون فى هذه المواضع ونقل أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خطب ابنة على فذكر منها صغرا فقالوا له إنما ردك فعاوده فقال: نرسل بها إليك تنظر إليها فرضيها فكشف عن ساقيها فقالت: لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينك.

لكن قد يحدث أن يكتفى راغب الزواج بالنظرة السطحية الظاهرة وقد تكون الفتاة متبرجة مسرفة فى الزينة على قدر يبهر الشاب الذى يريد الزواج منها ثم يتم الزواج منها وبعد فترة قصرت أم طالت يدرك أنه ليس بها من المرغبات الجمالية شىء هنا يحدث المشاكل لأن الزوج يشعر بأنها لا تلبى رغباته الفطرية.

ما أقوله هذا ليس من قبيل الفرض إنما أمر واقع وكثير من حالات الطلاق كانت لهذا السبب خاصة فى مجتمع ترفض فيه المرأة الزواج عليها بأخرى وتهدر رغبة الرجل بل تقاومها بعنف يصل إلى حد ارتكاب الجريمة.

هذه المخالفات الشرعية تحدث أيضا عند اختيار الزوج فقد توافق الأسرة على زوج لا يلتزم بأحكام الدين أو يكون من أسرة لا تتوافر فيها الكفاءة مع أسرة الزوجة دينيا واجتماعيا وقد لا تتمكن المخطوبة من رؤية الخاطب أصلا كما يحدث عند الجهلاء مع أن رؤية الخاطب حق كفلته الشريعة الإسلامية للمخطوبة قال

رسول الله ﷺ "لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن"(١)

مشكلات ما بعد الزواج

مشكلات ما بعد الزواج ترجع فى معظمها إلى مخالفات شرعية فى التعامل بين الزوجين، فلو أن الحياة استقامت على شرع الله الذى بين الحقوق والواجبات لاستمرت الحياة الزوجية على خير حال.

وسبق أن ذكرنا أن دستور الحياة الزوجية السعيدة هو قول الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)(٢)

فإذا حدث وقام أحد الزوجين أو كلاهما بفعل ما يخل بقاعدة السكن والرحمة والمودة فى التعامل، اختلت حياتهما واضطربت ولا ينجيها من مغبة هذه الكارثة إلا العودة إلى هذه القاعدة الفطرية التى أرساها رب العالمين وأوحاها إلى سيد المرسلين لتكون نورا ورحمة للمسلمين.

ولقد استقصيت أسباب الخلافات الزوجية عمليا – فى محيط عملى – فوجدت منها ما يرجع سببه إلى الزوجة وحدها ومنها ما يعود إلى الزوج وحده ومنها ما يعود سببه إلى الطرفين.

ويمكننى حصر المشكلات التى تتسبب فيها الزوجة لعل الفتيات المقدمات على الزواج والراغبات فى حياة زوجية سعيدة يكن على ذكر منها فيتحاشينها.

مشكلات سببها الزوج:

١ـ عدم الإنفاق على الزوجة:

إذا امتنع الزوج عن الإنفاق على زوجته فلا يجب عليها الدخول فى طاعته وإذا استمر فى الامتناع فلها الحق فى الامتناع عن الدخول فى طاعته وقد يقوم

---

(١) النكاح والقضايا المتعلقة به – د. أحمد الحصرى ص ٦٦

(٢) الروم آية ٢١

بالإنفاق عليه لكن بتقتير شديد رغم يساره بخلا وشحا منه وكثير من الزوجات لا يعبن أزواجهن فى خلق ولا دين ولكنهن يشتكين البخل والتقتير عليهن.

٢ـ الاستيلاء على مال الزوجة

كثير من الزوجات يشتكين من أزواجهن رغبتهم فى الاستيلاء على مال الزوجة دون رضاها فإذا لم تستجب لرغباته المحمومة والغير مشروعة أذاقها الهوان وبهذا يعتبر الزوج الذى يفعل ذلك غير أمين على زوجته فى مالها مما يبيح للزوجة عدم الدخول فى طاعته.

٣ـ هجر الزوجة فى الفراش أو تركها فى البيت والإقامة بعيدا عنها أو السفر للخارج دون عذر أو ضرورة شرعية.

٤ـ إيذاء الزوجة بالضرب والسب

وهذه الأمور كلها أو واحد منها تبيح للزوجة أن ترفع دعوى قضائية بطلب التطليق.

٥ـ عدم تهيئة المسكن الشرعى للزوجة

والمسكن الشرعى هو أن يكون مشتملا على كافة المرافق والأثاث والأدوات اللازمة للمعيشة وأن يكون بين جيران صالحين تأمن فيه الزوجة على نفسها وأن يكون خاليا من سكنى الغير حتى ولو كانوا من أقارب الزوج ولقد تبين لى من خلال عملى أن الكثير من المشكلات الزوجية التى تؤدى إلى الطلاق هى وجود مسكن الزوجية بين أهل الزوج ولو كان مستقلا عنهم.

مشكلات سببها الزوجة:

١ـ رفض الزوجة لمبدأ القوامة:

بعد إتمام الزواج يقوم الزوج بالإشراف على الأسرة ورعايتها طبقا لمبدأ القوامة، فترفض الزوجة هذا المبدأ وتعتبر نفسها صنو الرجل تماما فلا تكتفى بمشاركته فى إدارة شئون البيت بل تفرض رأيها فى كل شىء فى داخل البيت وخارجه وتستعلى عليه وكثيرا ما يحدث هذا ممن تأثرن بالثقافة الغربية ومفاهيمها عن العلاقة بين الرجل والمرأة وهى مفاهيم لا تقوم عليها أسرة صالحة. وأجهزة

الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة تلعب دورا رئيسيا فى تحطيم الأركان التى تقوم عليها الأسرة تشاركها بعض المنظمات النسائية المشبوهة.

٢ـ عدم طاعة الزوج:

قلنا فيما تقدم أن من حق الزوج على زوجته أن تطيعه فإذا حدث وأخلت الزوجة بهذا الحق الواجب عليها للزوج فلن يقبل الزوج التنازل عن حقه الشرعى وله أن يقاضيها فإذا ما ثبت نشوزها تسقط نفقتها فضلا عن ذلك فإنها تكون آثمة.

والذى يحدث فى حالة عدم طاعة الزوجة بتركها منزل الزوجية يقوم الزوج بمقاضاة زوجته وإذا ما وصل الأمر إلى ساحات المحاكم تتأزم الأمور وتضطرب العلاقات الزوجية ويتسلل البغض والكراهية إلى قلوب الزوجين وربما يكون ثمرة ذلك الطلاق.

يقول الرسول ﷺ "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليه أبرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله"(١) ويقول ﷺ "إذا صلت المرأة خمسها وحفظت فرجها وأطاعت بعلها دخلت الجنة"(٢)

٣ـ إرهاق الزوج بالإسراف فى النفقة

كثير من الزوجات يضعن لأنفسهم مستوى معين من المعيشة دون مراعاة لدخل الزوج فيكلفنه ما لا يطيق فى المأكل والملبس وغير ذلك من المتاع فيعجز الزوج وتستمر الزوجة فى الحاح شديد فتتحول الحياة الى نكد دائم، مع أن الله يقول: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾(٣) ونهى الإسلام المسلم عن التطلع إلى من هو أعلى منه مستوى فى المعيشة، وغالبا ما تكون مطالب الزوجة لأشياء تعد من الرفاهة وليست من الضروريات ولا من الكماليات.

---

(١) رواه أحمد

(٢) رواه أحمد

(٣) الطلاق آية ٧

٤ـ عدم مراعاة الزوجة لمشاعر الزوج

بعض النساء عندهن قصور شديد فى فهم وإدراك لطبيعة الحياة الزوجية ويتناسين دورهن فى الأسرة الذى حدده القرآن الكريم يقول الله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)[1] فإذا تجاهلت الزوجة طبيعة دورها هذا المنوط بها وهو إشاعة المودة والرحمة فى حياة الزوج وتفقدها لمشاعره وأحاسيسه وتشاغلت عن كل ذلك بعملها خارج البيت وغير ذلك اختل ميزان الحياة الزوجية.

إن على الزوجة العبء الأكبر فى الموائمة بين حقوق الزوج – وهى كثيرة ومتنوعة – وبين شئون البيت – وهى شاقة ومجهدة– وبين تربية الأولاد التى تتطلب جهدا ليس هينا فعلى الزوجة أن تحرص على ألا يختل ميزان البيت فى يدها فتضطرب الأمور وتتعثر الحياة الأسرية فإن للزوج حق وللبيت حق وللأولاد حق، وحق الزوج أن يرى زوجته فى أحسن صورة وهذا تلبية للفطرة التى أودعها الله الرجل فلا يسوغ للزوجة أن تقضى جل وقتها فى ترتيب أمور البيت والأولاد والعمل إن كانت ممن يعملن وتهمل حق زوجها عليها فى أن يراها فى أبهى صورة تستقبله بنظرة حانية وبسمة رقيقة وكلمة حب تجدد الحياة الزوجية وتحافظ عليها من التصدع والانهيار.

إن بيت الزوجية الذى رُفعت قواعده على أساس من المودة والرحمة يحتاج بين آونة وأخرى إلى التجديد والترميم لإزالة التراكمات التى علقت به وتجديده بان تعانق الزوجة زوجها لتمسح عن جبينه غبار الهموم وتزيل عن كاهله تراكمات الأحداث وتقلبات الأيام.

قطرات من عطر المودة والرحمة تسكبها الزوجة على زوجها تعطر جو البيت وتشيع الأمن والأمان، وابتسامة حلوة وقبلة حارة تطبعها الزوجة على جبين زوجها تذيب حرارتها الجليد. إن سعادة الأسرة بتجديد النفس لا بتجديد حوائط البيت ومتاعه أما أن تسكب الزوجة الوقود على النار فسيحترق البيت بمن فيه.

---

(١) الروم ٢١

إن الزوجة التى تتعلل بأن الشباب قد ولى واشتعل الرأس شيبا فلا تولى نفسها العناية لتسعد زوجها وتسعد هى فهى قاصرة النظر فى فهمها لدينها ولطبيعة الرجل. لأن ثورة الشباب قد تولى بمطالبها لتبقى معانى المودة والرحمة ترفرف بجناحيها على الزوجين.

لا تظنى أيتها الزوجة أن شجرة الحياة الزوجية تذبل بمرور الأيام والسنين وتتساقط أوراقها إنها شجرة لا خريف لها مثمرة طوال العام شريطة أن تتعهديها بالسقى والرعاية فإن ذبلت وشاخت وانحنى جذعها فمن فعلك وتقصيرك لأنك منعت عنها الماء وحجبت عنها الهواء فإن مالت وسقطت فلن يصيب أذاها الزوج وحده إنما سوف تكونين أنت وفلذات أكبادك أول المصابين وإصابة الزوج وجراحه يمكن تضميدها ومداوتها أما جرحك أنت فلا ينفع معه ضماد ولا يجدى معه دواء. فاتقى الله فى زوجك وامنحيه ودادك وإن حرمك واحلمى عليه وإن جهل عليك وأحسنى إليه وإن أساء إليك.

لا تظنى أيتها الزوجة أننى قد قسوت عليك فى كلماتى هذه بل إننى أعليت من قدرك ورفعت من شأنك بأن حملتك المسئولية فى استقرار الحياة الزوجية وألقيت على كاهلك الحمل الثقيل فإن العظائم كفؤها العظماء فأنت زوجة اليوم وأم فى الغد أنت مستودع الأمومة وراعية الطفولة وصدق أمير الشعراء حينما قال:

الأم مدرســـــــة إن أعددتهـــــــا أعـــددت شـــعبا طيـــب الأعـــراق

فلا تستهينى بدورك فى الحياة والمجتمع فإن قصرت فى حق زوجك تكونى قصرت فى حق نفسك وأولادك وأسرتك بمعناها الواسع وفى حق مجتمعك.

ولا تظنى أننى جرت عنيك فى وصيتى إننى أخط كلماتى هذه بيمينى وميزان العدالة فى يسارى وحديثى إليك حديث الأب الحانى على ابنته وحديث الزوج الوفى لزوجته وحديث الأخ الناصح الأمين لأخته. وحديثى هذا وصايا وليست أحكام أوصى به نفسى كزوج وأب ومثلما أوصيتك أوصيت بها الزوج.

مشكلات سببها الزوجين معا:

الزوجان كانا قبل الزواج لا يعرف كل منهما الآخر وفترة الخطوبة غير كافية ليتعرفا المعرفة التامة من حيث الطباع والحياة المعيشية، ففيها يحاول كل طرف أن يظهر أحسن ما عنده من حلاوة الحديث ورقة الطبع إنهما يعيشان فى عالم من صنع خيالهما فيتصورا الحياة الزوجية نعيم مقيم لا نصب فيها وتعب.

وحديث الآمال العذاب والمستقبل الحلو السعيد يكون هو الغالب على تفكيرهما رغم أن كل واحد منهما يحمل بين جوانحه وكوامن نفسه طباعا مغايرة للآخر وتلك سنة الله فى خلقه لكن الله سبحانه وتعالى يجمع هذه الأشتات المتنافرة بميثاق غليظ هو عقد الزواج وينظمها فى عِقد واحد بما شرعه من أحكام فى كتابه المجيد وفى سنة نبيه الكريم.

لِنَدَع أحاديث الخيال الأدبى ونلج باب الواقع فى الحديث عن المشكلات الذى يسهم فيها الزوجان:

سوء فهم كل طرف للآخر وعدم معرفة كل طرف لمداخل شخصية الآخر ففى الزوج سلبيات وإيجابيات وقد تفوق الإيجابيات السلبيات. والزوجة كذلك والذى يحدث أن يتعامل كل طرف مع الآخر فى نطاق مساحة السلبيات ويظل كل منهما أسير هذا النطاق لا يتعداه إلى غيرها بل ينفخ فى نارها حتى تحترق الأسرة.

لماذا لا تنظر الزوجة إلى إيجابيات الزوج وقد تكون موفورة فتنميها وتستثمرها وكذلك الزوج عملا بقول الرسول ﷺ "لا يفرك[1] مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها خلقا آخر"[2] فعلى الزوج ألا ينظر للزوجة بمنظار السلبيات فيتعكر صفو الحياة اللهم إلا أن تكون هذه السلبيات مخالفات شرعية من الزوجة أو الزوج فلا يجوز غض الطرف عنها.

---

(١) يفرك: يكره

(٢) مسلم – كتاب الرضاع. الوصية بالنساء

وعلى الزوجة أيضا مثل ما على الزوج قال أحد الصالحين "إن رأيتنى غضبت فرضنى وإن رأيتك غضبت رضيتك وإلا لم نصطحب"[1] وعلى كل طرف أن يحاول التعرف على سلبياته فيتلاشيها وينمى الإيجابيات.

كيف نتجنب وقوع الطلاق

لو أننا اتبعنا المنهج الشرعى الذى بيناه فيما تقدم فى تكوين الأسرة ابتداء من الخطبة واختيار الزوجة وانتهاء بعقد الزواج ثم البناء ودخول بيت الزوجية أعتقد أننا نكون قد ابتعدنا عن الدائرة البغيضة وهى الطلاق، ولعاش الزوجان داخل النطاق الأسرى الجميل الدائم بما فيه من مودة ورحمة تظلهما شجرة الوفاق والوئام يقول الدكتور محمود عمارة فى مقاله المنشور بصحيفة صوت الأزهر بعنوان (نهاية المطاف):

"لأن الطلاق (أبغض الحلال) إلى الله تعالى فقد وضعت الشريعة - طبق خطتها - إزاء كل بغيض وضعت ما يمنع وقوعه:

أ- قبل الزواج - ب- أثناء الزواج - ج- وعندما تهب العاصفة.

أما قبل الزواج: فمن الضرورى معرفة الطرف الآخر بعمق حتى لا نفاجأ بما نكره ذلك أن بعض الناس يفاجأ بهذا الذى يكره لأنه لم ير الأشياء على حقيقتها واكتفى بقراءة العنوان وهناك أمور أساسية لابد من توافرها:

١) الالتقاء على مبدأ وخير المبادئ الدين وفى ظله يمكن التعايش.

٢) الميل القلبى فرارا من النفور المانع من التكيف. وهذا بعض ما يفهم من قوله ﷺ "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما".

٣) ضرورة سؤال الآخرين وعلى المسئول أن يذكر العيوب التى يراها.

بعد الزواج: تعيين قائد للأسرة يرجع إليه عند الاختلاف ويستأنس برأيه عندا الوفاق.

---

(١) وصايا إلى البيت المسلم - د. حسين شحاته - ص ٥٢

مرشحات القائد:

أ) مرشح فطرى: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ).

ب) مرشح كسبى: (وَبِمَا أَنْفَقُوا) فهو قادر على مخالطة الناس ثم الكسب وما يتطلبه من معاناة وتبقى الزوجة مستودع الحنان لأنه بلا حنان فلا إنسان، ولأن الحنان والمعاناة تستنزف طاقتها فلا يبقى لها بال ولا طاقة لإدارة البيت فالقيادة للرجل وهذه القيادة تكليف لا تشريف عطاء لا أخذ رعاية لا غنيمة ومسئولية لا تسلط وإذن فإعفاؤها من القيادة ليس إهمالا وإنما هو تقدير لظروفها رحمة بها ووصفا للأمور فى نصابها وبذلك حسم الإسلام القضية فلا خلاف ولا نزاع لا سيما وتوجيهات الإسلام تزامل الزوج ضبطا لخطواته.

مسئوليات القائد: إنك راع مسئول

اصبر عليها لأن فطرتها تختلف عن فطرتك فلا تحملها بالعنف على ما تريد ولا تتوقع منها كل ما تريد ولا تتصورها كاملة فالعاقل لا يرضى عن صفاته هو شخصيا وإن رضى فهو مغرور مأزور وسوف يصدمه الواقع بما لم يكن يتوقع وبما لم يكن يعلم"[1]

فى بيت النبوة

روى أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زينب رضى الله عنها فيشرب عندها عسلا فاتفقت عائشة وحفصة على أن تقول له كل واحدة إذا دنا منها: أكلت مغافير – وهو طعام حلو كريه الرائحة – فلما مر على حفصة قالت ذلك ثم دخل على عائشة فقالت له مثل ذلك – وكان ﷺ يكره أن توجد منه رائحة كريهة – فقال ﷺ "لا ولكنى شربت عسلا عند زينب ولن أعود له" وحلف فنزلت الآية (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[2].

---

(١) صوت الأزهر – السنة الخامسة – العدد ٢١٨ – ٤ شوال ١٤٢٤هـ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٣

(٢) صفوة التفاسير للصابونى الجزء الثالث ص ٣٨٢-٣٨٣

اللباس الشرعى للمرأة المسلمة

اخترت هذا العنوان على هذا النحو ولم أجعله (حجاب المرأة المسلمة) حتى أكون أكثر دقة ووضوحا فى تحرير هذه المسألة وأزيل شبهة قد تعلق بأذهان بعض الناس عن الحجاب وأنه عبارة عن حجب المرأة وعدم ظهورها فى المجتمع. يروى مسلم فى صحيحه بسنده عن أنس بن مالك قال: "كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى"(١)

وقبل البحث فى هذه المسألة يجدر بنا أن نسوق مقدمة مؤداها أن الله سبحانه وتعالى أودع فى قلب المرأة والرجل أن يميل كل منهما إلى الآخر ميلا قلبيا عاطفيا وهو ما يسمى بالحب، وميلا غريزيا فطريا وهو ما يسمى بالميل الجنسى، وكل موضع من جسد المرأة يثير غريزة الرجل، ولا يمارى فى ذلك أحد ومن قال بغير ذلك فمقولته غير صحيحة لأنها تتصادم مع الفطرة السوية.

ومن ثم شرع الإسلام وحدد لباس المرأة على نحو لا يجعلها مصدر فتنة ووضع الإطار العام لملابس المرأة التى تظهر بها أمام الأجانب من الرجل دون أن يحدد شكلا أو نوعا معينا من اللباس الذى يجب أن تلبسه المرأة وإنما المطلوب أن يكون سابغا ساترا لجسمها لا يبرز شيئا منه ولا يحكى أى جزء من أجزائه (لا يصف ولا يشف) وكمال الثوب طولا أن يصل إلى الكعبين فإن ارتفع عنه كره وإن كان القدمان مستوران بجورب سميك(٢)

يقول الله تعالى (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)(٣)

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) (٤)

(وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

---

(١) مسلم بشرح النووى (٥٠٥/١٢) عن كتاب خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك – الدكتور المستشار فاروق بن عبد العليم ص ٦٨

(٢) إلى كل فتاة تؤمن بالله – الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ص ٤٠

(٣) النور ٣١

(٤) الأحزاب ٥٩

أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[1]

(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)[2]

دلت هذه الآيات على أن التبرج وإظهار المفاتن التى كانت تعودت عليه المرأة العربية فى الجاهلية قد أصبح أمرا محظورا وسلوكا محرما وأن عليها ألا تكشف من زينتها ومفاتنها أمام الغرباء إلا ما يظهر منها بطبيعة الحال وتقع فى حرج وضيق من محاولة ستره. وقد أجمع أئمة المسلمين كلهم على أن ما عدا الوجه والكفين من المرأة داخل تحت وجوب الستر إذ الظاهر الذى قد تتحرج المرأة من ستره لا يعدو أن يكون سوى الوجه والكفين على حالة طبيعية لا زينة فيها أما ما عدا هذا الظاهر من جيد ونحر وشعر وغير ذلك فيجب ستره وتغطيته بنص قاطع صريح لا لبس فيه ولا غموض فيحرم على المرأة أن تكشف أمام الأجانب عنها وهم من عدا الأصناف الذين استثنتهم الآية – شيئا غير الوجه والكفين من أى جزء من أجزاء جسمها"[3]

النقاب وآراء العلماء فيه

تغطية الوجه مسألة خلافية منذ عهد الصحابة ومن القائلين بوجوبه ابن مسعود ومن القائلين بجواز كشفه ابن عباس وقد انتقل الخلاف من عهد الصحابة حتى وصل إلينا.

أدلة القائلين بالوجوب

قال الحنابلة وبعض الشافعية بوجوب تغطية الوجه والكفين وفسروا ما ظهر من الزينة فى الآية المذكورة بزينة الثوب وأطراف الأعضاء وما قد يبدو معها كالخاتم

---

(١) النور ٣١

(٢) الأحزاب ٣٣

(٣) إلى كل فتاة تؤمن بالله – الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ص ٣٢

ونحوه فيبقى الوجه والكفان داخلين فى عامة ما يحظر كشفه وعلى هذا فلا يجوز للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها أمام غير من استثناهم الله تعالى فى الآية المذكورة واستدل أصحاب هذا الرأى بالأدلة التالية:

١- قول الله تعالى (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) والآية وإن كانت نزلت فى حق نساء النبى ﷺ إلا أن الحكم ليست له أى خصوصية بهن والعلة فيه موجودة فى جميع النساء.

٢- ما روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها فى باب ما يلبس المحرم من الثياب: "لا تَلثَّم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس ثوبا بورس ولا زعفران" وما رواه مالك فى الموطأ عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول "لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين" ولو لم يكن ستر الوجه معلوما وشائعا لما نهيت المحرمة عن ستره فى الإحرام لأن النهى عن شىء لا وجود له من العبث.

٣- قول أم المؤمنين عائشة "كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حازوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه"(١)

٤- قول أسماء بنت أبى بكر: "كنا نغطى وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك فى الإحرام"(٢)

٥- ما أخرجه مسلم وغيره عن أنس بن مالك أن أم سليم صنعت حيسا (نوع من الحلوى) وأرسلت به إلى رسول الله ﷺ بمناسبة زواجه من زينب بنت جحش فدعا رسول الله ﷺ أصحابه وجلسوا يأكلون ويتحدثون ورسول الله ﷺ جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط إلى أن خرجوا" والحديث واضح الدلالة على المطلوب لا يقال أن هذا قد يكون حكما خاصا بزوجات الرسول ﷺ لأن الفرق بين زوجات النبى ﷺ وسائر النساء المسلمات فيما يتعلق بالحجاب إنما هو فرق زمنى فقط ذلك أن مشروعية الحجاب تمت فى حق

---

(١) رواه أبو داود وأحمد والبيهقى وابن ماجه والدارقطنى

(٢) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى - عن التطرف الدينى الرأى الآخر : دكتور صلاح الصاوى ص ١٦١-١٦٢

نسائه ﷺ أولا ثم إنها عمت سائر النساء بعد حين، وإذا كان وجوه نساء النبى ﷺ عورة بالنسبة للأجانب من الرجال وهن أمهاتهم فلأن يكون ذلك من بقية النساء عورة أيضا من باب أولى.

أدلة القائلين بعدم وجوب النقاب

استدل أصحاب هذا الرأى بأن (ما ظهر منها) يعنى الوجه والكفين إذ هما الظاهر الذى قد تتحرج منه المرأة من استدامة ستره وهما الظاهر الذى تكشفه المرأة فى الصلاة وأصحاب هذا الرأى وهم المالكية والحنفية وبعض الشافعية اشترطوا لجواز كشف المرأة وجهها ألا يكون ذلك فى حالة تثير الفتنة كأن تكون بارزة الجمال وألا تظهر أمام فساق يغلب على الظن أنهم لا يغضون من أبصارهم كما أمر الله تعالى بل ينقادون لدوافع أهوائهم وشهواتهم(١)

ومن أدلتهم أن الرسول ﷺ نهى المحرمة عن النقاب وهى فى مقام العبادة فمن الأولى أن يكون جائزا فى غير مقام العبادة فى الأحوال العادية قال القرطبى فى تفسيره فيما نقله عن ابن خويذ بن منداد من أئمة المالكية: "أن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك" وقال صاحب الدر المختار من الحنفية: "وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة ولا يجوز النظر إليه بشهوة".

هذا هو الرأى الشرعى فى لباس المرأة المسلمة سواء غطت وجهها عملا بالرأى القائل بوجوب تغطية الوجه والكفين أو تركتهما عملا بالرأى القائل بعدم وجوب ذلك ولكننى أرجح الرأى القائل بالوجوب لقوة أدلته ودرأ للفتنة.

أزمة المذيعة المحجبة ورئيسة التليفزيون

هذا عنوان للتحقيق الذى نشرته مجلة روزاليوسف فى عددها الصادر بتاريخ ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٣ الموافق ٥ شوال ١٤٢٤ هـ ومضمون ما جاء فيه أن إحدى المذيعات قد منعت من الظهور على شاشة التليفزيون لارتدائها الحجاب.

---

(١) إلى كل فتاة تؤمن بالله – الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ص ٣٨

وقد حوى التحقيق كلاما كثيرا ورد على لسان المذيعة المحجبة وآخر على لسان رئيسة التليفزيون ورئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون، ولا يعنينا ولا يهمنا ما ورد فى هذا الحوار إلا ما نستخلصه منه وهو أن الاتجاه العلمانى المضاد لثوابت الإسلام قد تجذر وتأصل فى المؤسسات الإعلامية وعلى رأسها أخطر جهاز فى التأثير وتكوين الرأى العام وهو التليفزيون وآية ذلك ما تعرضت له المذيعة المحجبة من مشاكل واضطهاد حتى وصل الأمر إلى ساحات القضاء وما ورد منسوبا إلى رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون قوله: "ورغم أننا نعتبر مسألة الحجاب مسألة شخصية إلا أن هذا لا يلزمنا كاتحاد بظهورهن على الشاشة فهذا لن يحدث لأن المذيعة منهن حينما تقدمت للاختبارات لإجازتها كمذيعة تمت الإجازة وفق شكل معين وهو الشكل الذى خضعت فيه للاختبارات – أى بدون حجاب – وبناء عليه تم اختيارها والتعاقد معها على هذا الأساس والعقد هنا شريعة المتعاقدين ما دامت قد ارتضت هذا الوضع بمحض إرادتها – كمذيعة بلا حجاب – أما أن تغير من شكلها بارتدائها الحجاب فهو أمر يعتبر إخلالا بالاتفاق بينها وبين التليفزيون ومن حقنا – إذن – ألا نسمح لها بالظهور على الشاشة أما كونها ظهرت على الشاشة من خلال تقديمها لبرنامج "معالم إسلامية" فهو أمر ارتباطه بشهر رمضان وغير ملزم لنا باستمرار" انتهى

هل معنى ذلك أن عدم الحجاب محل اعتبار للتعاقد مع المذيعات للظهور على شاشة التليفزيون؟

أعتقد أن هذا غير صحيح من الناحية القانونية ذلك أن العقد لا ينص على ذلك ولا يتضمن شرطا بعدم ظهور المذيعات على الشاشة بالحجاب حتى وإن تضمن ذلك الشرط فلا يجوز الوفاء به لمخالفته للدستور الذى نص على "أن مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع" كما نص أيضا على "أن الدين الرسمى للدولة هو الإسلام" ومن تعاليم الإسلام تغطية شعر المرأة ومصر دولة إسلامية ورئيسها رجل مسلم ولا يجوز إهدار ذلك الأمر فى مؤسساتنا الإعلامية، وإن دل حديث رئيس اتحاد الإذاعة والتليقزيون على شىء فإنه يدل دلالة واضحة على مدى غزو الاتجاه العلمانى لأهم وأخطر قنوات التأثير فى بلد مسلم.

قصة السفور

لقد كرم الإسلام المرأة تكريمًا لم تنله منذ بدء الخليقة، ففي صدر الإسلام أخذت فرصتها كاملة لتشارك في بناء المجتمع الإسلامي الناشئ فهاجرت إلى الحبشة.

وشاركت في بيعة العقبة الكبرى وشاركت في بيعة الرضوان تحت الشجرة. وروت أم عطية أنه حين قدِم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقام على الباب فسلم عليهن فرددن السلام فقال: أنا رسول رسول الله إليكن فقلن: مرحبًا برسول الله وبرسول رسول الله فقال عمر: تبايعن على ألا تشركن بالله شيئًا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف؟ قلن: نعم فمد عمر يده من خارج الباب ومددن أيديهن من داخل ثم قال: اللهم اشهد. ولم يجعل عمر البيعة مصافحة باليد.

وشاركت في صنع الأحداث فكانت داعية ومجاهدة كما ذكرنا طرفًا من دعوتها إلى الله وجهادها في قصة "أم سُلَيم".

ولما قدِمت أسماء بنت عميس هي ومن بقي من مهاجري الحبشة إلى المدينة على ظهر سفينة فرآها الفاروق عمر ﷺ قال لها: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار البعداء البغضاء وذلك في الله وفي رسول الله ثم أخبرت النبي بمقالة عمر فقال لها: "ليس بأحق بي منكم، له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أصحاب السفينة هجرتان" أي هجرتهم إلى الحبشة ثم هجرتهم إلى المدينة فما فرح أصحاب السفينة بشيء أعظم من فرحهم بمقالة الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم[1].

أوردت هذه القصة للتدليل بها على مدى ما وصلت إليه المرأة المسلمة من علو القدر والمنزلة حتى أنها تحاور عمر بن الخطاب وهو مَن هو في شدته وحدته ولا تكتفي بذلك إنما تذهب إلى رسول الله ﷺ تشتكي إليه مما قال عمر فطيَّب الرسول ﷺ خاطرها ومنحها ومن هاجر معها إلى الحبشة ثواب الهجرة إلى المدينة

---

(١) السيرة النبوية للشيخ الدكتور محمد أبو شهبة – الجزء الثاني – ص ٣٥١.

بالإضافة إلى ثواب الهجرة إلى الحبشة وكانت السيدة خديجة رضوان الله عليها أول من آمن وكانت السيدة سمية أم عمار بن ياسر أول شهيدة في الإسلام.

"إن الإسلام سوى بين الرجل والمرأة في جملة الحقوق والواجبات وإذا كانت هناك فروق معدودة فاحترامًا لأصل الفطرة الإنسانية وما يبنى عليها من تفاوت الوظائف وإلا فالأساس قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾(١) وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

هذه نبذة موجزة عن وضع المرأة في صدر الإسلام لكن في عصور الانحطاط الأخيرة التي سادت المجتمع الإسلامي أصبح وضع المرأة في المجتمع الإسلامي يسير وفق تقاليد وأهواء وضعها الناس ولم يضعها رب الناس دحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة واستبقت في معاملتها ظلمات الجاهلية الأولى وأبت إعمال التعاليم الإسلامية فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية ومال ميزان الأمة كلها مع التجهيل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها.

ويقول الشيخ محمد الغزالي: "كنت في ملتقى الفكر الإسلامي عندما تحدث السفير الألماني المسلم عن الإسلام وقال للحاضرين يحب أن تصححوا أوضاع المرأة عندكم فإن صورة المرأة الإسلامية تنفر الأوربيين من دخول الإسلام"(٣).

وفي الحقبة الزمنية التي كان فيها وضع المرأة كما ذكرنا تسللت إلى المجتمع العربي أنماط من الثقافة الغربية تحملها الجيوش المنتصرة منها إثارة قضية تحرير المرأة وحقوق المرأة وأصبح لهذه الفكرة أنصار وأعوان أُشربوا حب الثقافة الغربية فتناولوا قضية تحرير المرأة من منظور غربي تنسلخ فيه المرأة المسلمة من قيم الدين الإسلامي في ثقافتها وأخلاقها وكان أول ما نادوا به أن تتحرر المرأة من اللباس الإسلامي الشرعي وتنتقل من الحجاب إلى السفور والظهور في المجتمع بالصورة التي عليها المرأة الغربية تحت شعار التحديث في حين أن الحجاب أو

---

(١) آل عمران: من الآية١٩٥.
(٢) النحل: الآية ٩٧.
(٣) قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة للشيخ محمد الغزالي – ص ١٥، ١٦.

اللباس الإسلامي للمرأة لم يحل بين المرأة وبين القيام بدورها في المجتمع ومشاركتها في قضاياه حسبما ذكرنا.

إن عبارة تحرير المرأة المسلمة كلمة حق يراد بها باطل. نعم لتحرير المرأة من الجهل والانتقاص من قدرها ومنزلتها التي رفعها إليها الإسلام ولا لدعوات السفور والتحلل.

وقصة السفور بدأت أحداثها منذ احتلال الغرب لدول العالم الإسلامي وشأن الغازي المنتصر أن يفرض ثقافته خاصة إذا كانت الأمة المغلوبة يسودها الجهل فتنبهر بكل جديد وإن خالف ثقافتها وعقيدتها.

هكذا كان الشأن في بلدان العالم الإسلامي بعامة ومصر بصفة خاصة حيث زرع الاستعمار البريطاني رموزًا فكرية تتبنى قيمه وثقافته الرامية إلى طمس الهوية الإسلامية للمرأة ومكن لهذه الرموز في مؤسسات الدولة الثقافية والإعلامية وخلعوا عليها الألقاب ومنحوها الرتب والنياشين مثل (أستاذ الجيل) و(محرر المرأة) وبدأ سماسرة الغزو الثقافي يحرضون المرأة ويدفعونها إلى السفور والاختلاط بالرجال في كل ميدان دون التزام بالحشمة والوقار وفي مطلع القرن العشرين تبلور هذا الفكر العلماني وخرجت المرأة عن وقارها وألقت المرأة حجابها معلنة ثورتها عليه خاصة بعد إعلان الدستور. ويصف العالم الثائر الفاضل الشيخ محمود أبو العيون حالة المرأة في تلك الحقبة من الزمن في سلسلة مقالات تصدى فيها لدعاة تغريب المرأة نشرتها صحيفة الأهرام بعنوان "نفثات مصدور" على صدر صفحتها الأولى وبلغ عدد هذه المقالات عشرًا ظهر أولها يوم السبت ٥ ديسمبر عام ١٩٣٣ وآخرها يوم ٢٧ فبراير من العام التالي.

في واحدة من هذه المقالات يصف ثورة المرأة بعد إعلان الدستور فيقول: "الثورة على الأخلاق والآداب مدفوعة إلى ذلك من طريق الحرية التي فهمتها فهمًا معكوسًا فهمت أن الحرية هي أن تفعل ما تشاء لها طواغيتها واستسلامها لقيادة الشهوات واللذات. واعتقدت بذلك أنها تتخلص من أغلال الأسر وآلام الحياة وهذا كله مبعثه الخطأ في الحكم على حقائق الأشياء" ثم يقول: "في ظل الحرية الزائفة تمردت المرأة المصرية على الآداب والأخلاق ورأت فيها قيودًا يجب تحطيمها فأصبحت ماجنة مستهترة بكل معاني الفضيلة والشرف وفي ظل الحرية الزائفة

داست المرأة أقدس واجباتها كزوجة وأم وربة منزل، فتهدمت تلك الأصول الثلاثة التي تبنى عليها حياة الأسرة وسعادة المجتمع. أين خَفَر[1] المرأة وحياء العذارى وأين جمالها المعنوي في المرأة الشرقية، ذهب كل ذلك وهريق ماؤه في مسارح اللهو وأندية الهوى" ثم يتحدث بعد ذلك عن ما أسماه "البدعة السيئة" وهي المسابقة في جمال الأوانس والأبكار وهنالك أعضاء اللجنة من الشبان المتعلمين يقيسون أعضاء الحسان بالأصبع والفتر لانتخاب ملكة الجمال يحدث هذا في مصر الشرقية، مصر الناهضة، مصر التي تجاهد في استكمال حياة الاستقلال والحرية" ثم يقول: "لا شيء أقتل للفضيلة ولا أزرى للمروءة ولا أحط لكرامة الشعوب من تلك الإباحية الخاسرة. أيتها الحرية كم لك من صرعى ولكن صرعى الجهالة وفقدان الشرف"[2].

تلك لمحات عن قصة السفور وجذوره في العقد الثالث من القرن التاسع عشر وأيضًا لمحات من المقاومة لهذا التيار الوافد لكن المقاومة لم تكن لتصمد أمام هذا الخطر الزاحف الذي يملك من المقومات ما لا تملكه المقاومة.

وأنوه بأن الوضع المزري الذي كانت عليه المرأة من إهمالها في المجتمع وهضم لحقوقها التي شرعها الإسلام كان من أكبر العوامل على انتشار الثقافة الغربية وغلبتها على الثقافة الإسلامية في ذلك الوقت والتي كانت ممثلة في الأزهر وعلمائه الذين لم يكن لديهم تصور كامل وصحيح عن وضع المرأة وحقوقها في الإسلام فكانوا خاضعين للتقاليد الراكدة التي هبطت بمستوى المرأة في المجتمع.

ترتب على ذلك علو شأن دعاة الثقافة الغربية الوافدة فتلقاها الكثير بالقبول دون تمحيص وتمييز بين الغث والسمين منها ثم أفاق رجال الدعوة الإسلامية من غفوتهم ليجدوا دعاة التغريب على رأس أجهزة التوجيه في أجهزة الإعلام وغيرها من المؤسسات الثقافية وليجدوا أنفسهم محصورين فى نطاق ضيق وفى دائرة لا تتعدى الوعظ فى المساجد وإن أتيح لهم الظهور فى أجهزة الإعلام فهو من قبيل ذر الرماد فى العيون ذلك أن أجهزة الإعلام خاصة المرئية تحفل بألوان من المفاسد والشرور.

---

(١) الخَفَر: الحياء.

(٢) الأهرام – ديوان الحياة المعاصر – دراسة منشورة بصحيفة الأهرام – الحلقة ٥٢٥ – بقلم د. يونان لبيب رزق – ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٣.

تربية الأولاد

تسمية المولود

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنكم تُدْعَوْن يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم".[١]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "أحب الأسماء إلى الله تعالى: عبد الله وعبد الرحمن".[٢]

وقد استنكر رسول الله ﷺ بعض الأسماء[٣] لدلالتها على معانٍ تتنافى مع الإسلام كاسم (العاصي والعاصية) لأنهما مستقيان من العصيان وسمة المؤمن الطاعة، و(العزيز) لأن العزة لله وشعار المسلم الذلة لله، و(عَتَلَة) لأن معناها الشدة والغلظة ومنه قول الله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾[٤] ومن صفة المؤمن اللين والسهولة، و(شيطان) مشتق من الشطن وهو البعد عن الخير وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس، و(الحكَم) وهو اسم من أسماء الله الحسنى، و(الغراب): مشتق من الغَرْب وهو البعد وهو اسم لطائر خبيث أباح رسول الله ﷺ قتله في الحل والحرم، و(حُباب) وهو اسم لنوع من الحيات وروي أنه اسم شيطان، و(الشهاب) وهو اسم للشعلة من النار والنار عقوبة الله للكفار والمشركين والعصاة والمذنبين، و(عَفِرَة) وهي نعت للأرض التي لا تنبت شيئًا وقد أمر الرسول ﷺ بتغيير هذه الأسماء التي كرهها إلى أخرى حسنة، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يغيِّر الاسم القبيح[٥].

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

(٣) سواء كانت عَلَمًا على الإنسان أو الجماعة والقبيلة أو على الأماكن والمواضع.

(٤) القلم: الآية ١٣.

(٥) رواه الترمذي – الترغيب والترهيب للمنذري – جزء ٣ – ص ٧١.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن ابنة لعمر كان يقال لها عاصية فسماها جميلة[1]. وعن أبي هريرة ﷺ أن زينب بنت أبي سلمة كان اسمها برَّة فقيل تُزَكي نفسها فسماها رسول الله ﷺ زينب[2].

وعن محمد بن عمرو بن عطاء ﷺ قال: سميت ابنتي برَّة فقالت زينب بنت أبي سلمة: إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم وسُميتُ برَّة فقال رسول الله ﷺ: "لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم" فقالوا: بم نسميها؟ فقال: "سموها زينب"[3].

قال أبو داود: وغيَّر رسول الله ﷺ اسم العاصي وعزيز وعَتَلة وشيطان والحكم وغراب وحُباب وشهاب فسماه هشامًا وسمى حربًا: سِلْمًا وسمى المُضْطَجِع: المنبعث وأرضًا تسمى عفرة سماها: خضرة وشِعْب الضلالة سماه: شِعب الهُدَى وبني الزَّنْية سماهم: بني الرِّشْدة وسمى بني مُغوية: بني رِشْدة. (قال أبو داود: تركت أسانيدها اختصارًا).[4]

وهناك مدينة في صعيد مصر كانت تُدْعى (القطيعة) فقام القاطنون بها إلى تغيير اسمها إلى (المُطيعة) ومنها العالم الجليل الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية من صفر ١٣٣٣ هـ - شوال ١٣٣٨ هـ. وفي منطقة الزيتون شارع يسمى باسمه وكذلك المسجد الكبير الكائن بميدان حلمية الزيتون بالقاهرة.

وهناك قرية تابعة لمركز منفلوط بالصعيد كانت تسمى (بني كلب) فغيروا اسمها إلى (بني مجد) وذلك اقتداء برسول الله ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجة ومسلم مختصرًا.
(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة وغيرهم.
(٣) رواه مسلم وأبو داود - المرجع السابق.
(٤) الترغيب والترهيب للمنذري - جزء ٣ - ص ٧١.

العقيقة وأحكامها

العقيقة هي الذبيحة التي تذبح عن المولود، قال صاحب مختار الصحاح: العقيقة هي الشعر الذي يولد عليه المولود ومنه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه.

حكمها:

سنة مؤكدة فعلها الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

روى أصحاب السنن أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عَقَّ عن الحسن والحسين كبشًا كبشًا.

ويجري فيها ما يجري في الأضحية من الأحكام إلا أن العقيقة لا تجوز فيها المشاركة.

وقت الذبح:

اليوم السابع بعد الولادة إن تيسر وإلا ففي اليوم الرابع عشر وإلا ففي اليوم الواحد والعشرين من يوم الولادة فإن لم يتيسر ففي أي يوم من الأيام، ففي حديث البيهقي: تذبح لسبع ولأربع عشر ولإحدى وعشرين ومن السنة أن يختار للمولود اسمًا حسنًا ويحلق شعره في يوم العقيقة ويتصدق بوزنه فضة إن تيسر ذلك لما رواه أحمد والترمذي عن ابن عباس أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عق عن الحسن بشاة وقال: "يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بوزنه فضة على المساكين" فوزناه فكان وزنه درهمًا أو بعض درهم.

ومن السنة أن يؤذن في أذن المولود اليمنى ويقيم في الأذن اليسرى ليكون أول ما يطرق سمعه اسم الله، روى أحمد وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي رافع ﷺ قال: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أذَّن بالصلاة في أذن الحسن بن عليٍّ حين ولدته فاطمة رضي الله عنهم[1].

---

(١) فقه السنة – الشيخ السيد سابق – الجزء الثالث – ص ٢٧٩.

ختان الإناث

الختان عمومًا هو من سنن الفطرة سواء بالنسبة للذكر أو الأنثى. يقول الرسول ﷺ: "خمس من الفطرة أولها الختان"[1] والحديث جاء مطلقًا فيشمل ختان الذكر والأنثى. ورد في حديث أم أيمن وأم عطية أن رسول الله ﷺ مر عليها وقال: "أخفضي ولا تنهكي" والخفض في اللغة معناه الإنقاص من الشيء يقال: خَفَضَ ثمن السلعة أي نقص منه والنَّهك معناه المبالغة في الشيء، فيكون معنى الحديث: أنقصي في الختان ولا تبالغي في النقص والقطع والأخذ من العضو محل الختان.

والأمر من الرسول ﷺ ليس للوجوب إنما للندب ويلاحظ أن المبالغة في عملية الختان قد تضعف الرغبة الجنسية عند الأنثى وذلك مما يتأذى منه الزوج وإذا كان ختان الإناث ليس واجبًا فيدخل في نطاق الإباحة وهناك من الأطباء من يؤكد بأن ثمة فوائد للختان وأن هذه الفوائد تختلف باختلاف العصور.

هذا هو الحكم الشرعي في مسألة ختان الإناث على النحو الصحيح أما الممارسات الخاطئة وما يحدث فيها من تشويه فهي ليست من الإسلام في شيء وربما تدخل في نطاق التجريم القانوني ويعاقب مرتكبها ومتى كان ذلك فإن الحملة الشعواء التي تشنها أجهزة الإعلام على مسألة ختان الإناث والمطالبة بتجريمها قانونًا ليست في محلها.

التربية الدينية وأهميتها

بعد ما تحقق المقصود من الزواج بأن وهب الله الزوجين الولد تتحول الحياة الزوجية إلى مرحلة الحياة الأسرية وتلقي هذه المرحلة على الزوجين مسئوليات وواجبات وعلى قدر قيامهما بواجباتهما وتحملهما لمسئولياتهما يكون نجاحهما في تنشئة أولادهما التنشئة الصالحة فينتفع الوالدان بحسن تربيتهما لأولادهما بأن ينالهما من البر ما يسعدهما في الدنيا ومن الدعاء لهما بعد وفاتهما بما يجلب لهما المغفرة والرضوان من الله، وإن قصرا فلن ينالا سوى العقوق ولعنات الناس من جراء السلوك السيئ لأولادهما في المجتمع ويفتقدا الدعوة الصالحة بعد وفاتهما.

---

(١) رواه البخاري.

ولن يحسن الأبوان القيام على شئون أولادهما إلا إذا كانا صالحين وكانت حياتهما الزوجية قد أُسست على تقوى الله وطاعته وكان بناء البيت متين الأساس قوي البنيان وتربية الأولاد تتنوع وسائلها بحسب المراحل التي يمر بها الولد.

التربية الدينية في مرحلة الطفولة

الطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى الشفقة والحنان والعطف لأنه يكون في مرحلة الضعف والضعيف يشتد احتياجه إلى من يحنو عليه ولذلك جعلت الشريعة الإسلامية حضانة الطفل حق لأمه ثم أم الأم وهكذا في حالة التفريق بين الزوجين بالطلاق أو وفاة الأب.

قال ثابت عن أنس: أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبله وشَمَّه.

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: "من بلي (وفي رواية: من ابتلى) من هذه البنات شيئًا فأحسن كن له سترًا من النار"(١).

وعن أبي قتادة قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها(٢).

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة ﷺ قال: قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت منهم أحدًا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: "من لا يَرحم لا يُرحم"(٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم فقال النبي ﷺ: "من لا يَرحم لا يُرحم"(٤).

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي – الترغيب والترهيب للمنذري – ج ٣ – ص ٦٦.
(٢) رواه البخاري – فتح الباري – ج ١٠ – ص ٤٤٠.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

مسئولية الوالدين في مرحلة الطفولة

إن مرحلة الطفولة في حياة الإنسان ليست مرحلة مستقلة بذاتها إنما تسلم إلى المراحل التالية لها فتتلوها مرحلة الصبا فمرحلة المراهقة ثم الشباب ولكل مرحلة خصائصها وسماتها التي تتميز بها عن غيرها من المراحل التي يمر بها الإنسان ومن ثم تتنوع وسائل التربية حسب كل مرحلة وإن كانت هذه المراحل روافد تصب في مرحلة الشباب الذي هو حصاد غرس الأبوين وجنى ما زرعوا وهبة الله لهما فإن تنوع وتعدد وسائل التربية محصلته النهائية إيجاد الشاب الصالح والفتاة الصالحة النافعين لأبويهما ومجتمعهما.

"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له" ولن يتحقق إلا بالتربية الإسلامية العملية لا بالتربية النظرية كما هو الشأن في مؤسساتنا التعليمية فكان من المفروض أن يقترن بالتعليم التربية. يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[1] والتزكية هي التربية.

وإن كان الطفل أول ما يرى من الوجود أمه وأباه وذويه فترتسم أول صور الحياة مما يراه من حالهم وطرق معيشتهم فتتشكل نفسه المرنة القابلة لكل شيء المنفعلة بكل أثر وحاسة التلقي في مرحلة الطفولة قوية جدًا. يقول الإمام الغزالي:

"الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وإن عُوِّد الشر وأُهمِل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيِّم والوالي له (وهما أبواه)".

وإلى هذا أشار أبو العلاء بقوله:

وينشأ ناشئُ الفتيانِ مِنَّا ... على ما كان عوَّده أبوهُ

وما دان[2] الفتى بحِجىً[3] ولكن ... يُعَوِّده التديُّنَ أقربوهُ

---

(١) الجمعة: من الآية ٢.

(٢) دان: تديَّن.

(٣) الحِجى: العقل. يقول الشاعر: لو كانت الأرزاق تجري على الحجى ... لهلكن من جهلهن البهائمُ

فلكل ذلك ناط الإسلام بالوالدين المسئولية الكاملة والتامة في تربية أولادهما، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: "كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته: الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته" متفق عليه.

أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟" ثم يقول أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(١).

ويتصور بعض الآباء أن دوره في المسئولية يقتصر وينتهي عند توفير المأكل والملبس لأولاده كما تتصور بعض الأمهات أن دورهن هو القيام على طهو الطعام وإعداد المائدة ونحو ذلك من أنواع الخدمة المنزلية والمعيشية. هذا تصور متدن وقاصر في فهم المسئولية، إنهم بهذا الفهم يحولون الأسرة إلى حظيرة بهائم يقتصر دور القائم عليها على تقديم العشب والماء إلى الحيوانات وتنقية أجسادها من الحشرات وتنظيف حظائرها من القاذورات.

روى النسائي وابن حبان في صحيحه مرفوعًا: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته" وفي رواية عبد الرزاق: "إن الله عز وجل سائل كل ذي رعية فيما استرعاه أقام أمر الله فيهم أم أضاعه؟ حتى إن الرجل ليسأل عن أهل بيته"

قلنا إن الولد في المراحل الأولى للطفولة يحتاج إلى رعاية الأم أكثر منه إلى الأب وليس معنى ذلك أن الطفل في مرحلة نموه لا يحتاج إلى توجيهات تربوية، إن التوجيهات لازمة وضرورية في جميع مراحل حياة الولد لكنها تختلف في مرحلة الطفولة عنها في مرحلة الصبا، فالتربية في مرحلة الطفولة ليست توجيهات

---

(١) الروم: من الآية ٣٠.

نظرية إنما هي توجيهات حسية عن طريق التقليد والمحاكاة لأبويه، فعلى سبيل المثال إن كانت الأم صالحة عابدة وقامت إلى صلاتها حينئذ يقوم الطفل بتأدية بعض حركات الصلاة كالسجود والتفوه بكلمة (الله أكبر) وإن كانت الأم تتعامل في البيت بأسلوب فظ مع الزوج وتعبر عن ذلك بألفاظ لا تتفق مع تعاليم الإسلام حاكاها الطفل وقلدها دون إدراك لمعاني هذه الكلمات ومثل ذلك مع الأب لكنها تختزن في اللا شعور وفي عقله الباطن وتتكون لديه حصيلة من ألفاظ السباب والشتائم التي حاكى فيها والديه فيرددها مع نمو إدراكه فعلى الوالدين أن يكونا القدوة الحسنة لولدهما في تعاملهما معه.

"فالوالدان مطالبان بتطبيق أوامر الله وسنة رسوله ﷺ سلوكًا وعملاً والاستزادة من ذلك ما وسعهما ذلك لأن أطفالهما في مراقبة مستمرة لهما صباح مساء وفي كل آن فقدرة الطفل على الالتقاط الواعي وغير الواعي كبيرة جدًا أكبر مما نظن عادة ونحن ننظر إليه على أنه كائن صغير لا يدرك ولا يعي".[1]

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة ليلة فقام النبي ﷺ فلما كان في بعض الليل قام رسول الله ﷺ فتوضأ من شَنٍّ[2] معلق وضوءًا خفيفًا ثم قام يصلي فقمت فتوضأت نحوًا مما توضأ ثم جئت فقمت عن يساره فحولني فجعلني عن يمينه ثم صلى ما شاء الله.

فابن عباس وهو غلام صغير حاكى رسول الله ﷺ فتوضأ مثل ما توضأ وانخرط خلفه مصليًا فلو أن الأبوين كانا من المصلين لفعل أطفالهما مثل فعلهما مقتدين بهما.

أخرج أبو داود عن عبد الله بن أبي بكرة رحمه الله أنه قال: قلت لأبي: يا أبت أسمعك تقول كل غداة: اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، ولا إله إلا أنت تكررها ثلاثًا حين تصبح وثلاثًا حين تمسي. فقال: يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأنا أحب أن أستن بسنته.

---

(١) منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب – جزء ٢ – ص ١١٧.

(٢) الشن: القربة القديمة – عن منهج التربية النبوية للطفل لمحمد نور عبد الحفيظ سويد.

"إن الطفل الصغير كالعجينة في يد صانعها يشكلها كيف يشاء وعلى أي وجه أراد أو بمعنى آخر: هو كالصفحة البيضاء القابلة لكل ما يكتب فيها ومن هنا نهى رسول الله ﷺ الأبوين أن يرتكبا أمام ابنهما سيئة أو نقيصة حتى لا تتطبع في نفسه".(١)

ويولي الإسلام عنايته الكبرى بالقدوة الصالحة لما لها من الأثر البالغ في بناء الشخصية وبخاصة في أولى مراحل العمر عندما تتفتح عينا الطفل على مظاهر السلوك التي تتطبع في نفسه وتتفاعل معها.

وقد استرعى المولى تبارك وتعالى الآباء والأمهات في أبنائهم وتشدد في الحساب على هذه الرعاية وناط بالوالدين المسئولية الكاملة عن أولادهم وفرض عليهما حفظهم كما أوجب عليهما أن يسعيا فيما يصلحهم ويجتهدا فيما يقومهم.

قال رسول الله ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها..."(٢)

وبهذا الحديث يُصَعِّد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه مسئولية الأبوين محذرًا من التفريط فيها أو التهاون بشأنها مع استشعارها بصفة دائمة بحيث تصاحب وعيهما لأن كلمة "راع" تعني الحاكم في سلطته والزوج والزوجة في مملكة الأسرة فكما أن الحاكم راع ومجال مسئوليته لا يقف عند حد توفير المعيشة الطيبة والرخاء للأمة والدفاع عنها ضد أعدائها بل يتجاوز هذا بأن يعدها فكريًا ونفسيًا ليسمو بها سموًا في مجال الأخلاق والمثل فكذلك الوالدان ليست مسئوليتهما نحو الجيل محصورة في بذل العطاء للأبناء وتزويدهم بالطعام والشراب والكساء بل الأهم من ذلك كله توجيه الأبناء والتسامي بهم وتغذية عقولهم فالوالد يحمل عبء التوجيه الذي يجب أن ينفذ إلى عقول وعواطف الأبناء ويمدهم بخبراته وتجاربه والأم في الأسرة هي حجر الزاوية ومركز الثقل وهي صاحبة الدور

---

(١) راجع فصل (أخطاء شائعة) من هذا البحث.
(٢) رواه أبو داود والترمذي.

الرئيسي في تقويم أفرادها وجمع شملهم فلقد تهيأت بطبيعتها وخصائص أنوثتها أن تكون مصدر العطف والحنان الذي يتغذى منه الأبناء.

ولا تستطيع الأم أن تؤدي دورها وتبذر بذور الحب والسعادة إلا إذا كانت منصرفة بعواطفها ومشاعرها وعقلها لإسعاد أسرتها معطية لهم من وقتها أكثر مما تعطيه لأي جانب آخر لأن الأم هي المعنى الحقيقي والمصدر المتواري لتفوق الأبناء ونجاحهم في الحياة. كما أن دور الأم في الأسرة دور قيادي له أثره الفعال في النشء وهي وراء كل نجاح يحققه أبناؤها.

إن انحرافات الأطفال تتجه أحيانًا إلى من هم في مثل سنهم وإلى مجتمعهم وفي أحيان أخرى إلى آبائهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة وفي أغلب الأحيان يوجه الأطفال طاقاتهم التدميرية إلى كل هذه الأطراف مجتمعة.

فإذا عرف الوالدان كيف يسوسان أبناءهما واستطاعا أن يوجهانهم الوجهة الإسلامية الصحيحة وغرسا في نفوسهم خصال الخير والبر والعطف وأسبغا عليهم الكثير من أنواع المحبة والإعزاز فيكونان قد أديا الأمانة وقاما بمسئوليتهما خير قيام وقدما لأمتهما شبابًا قويًا نافعًا جديرًا بالتقدير والاحترام وكسبا هما عملاً صالحًا باقيًا يحمدان عليه.

وإذا لم يقم الوالدان على شئون الطفل بتنشئته تنشئة قائمة على أسس سليمة فإنه سينتهي حتمًا عند بلوغه مرحلة معينة من العمر إلى مسالك خطرة وطرق صعبة لا يستطيع الانفكاك عنها خاصة وأن زبانية الشر ودعاة الانحلال على الأبواب يتربصون بالشباب الدوائر يتلقفونهم ويسلكوا بهم مسالك الرذيلة من جنس ومخدرات".[1]

---

(١) التربية الإسلامية ومحتوياتها الإنسانية المثلى – مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي – العدد ٣٦٤ ذو الحجة ١٤١٦ هـ مايو ١٩٩٦م.

أخطاء شائعة في تربية الأولاد

١ـ الكذب عليهم ولو على سبيل المزاح:

أخرج أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة".

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: تعال أعطك فقال لها ﷺ: "ما أردتِ أن تعطيه؟" قالت: أردت أن أعطيه تمرًا فقال لها: "أما إنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة". وتحذير الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الكذب في التعامل مع الأطفال منهج تربوي "لأن الأطفال بمراقبتهم لسلوك الكبار فإنهم يقتدون بهم فإن وجدوا أبويهما صادقين سينشئون على الصدق"[1] والعكس صحيح.

٢ـ خلف الوعد:

على الأبوين إن وعدا أولادهما بشيء فلا يخلفان فشأن هذا أن يولد في أنفسهم روح عدم الثقة بهما فضلاً عن تقليدهم لهما في هذه الخصلة وهي من خصال المنافقين.

٣ـ عدم العدل بينهم:

على الأبوين أن يحذرا كل الحذر من التفريق بين أولادهم في المعاملة بجميع أنواعها المادية والمعنوية فلا يميز ولد على الآخر في العطية والمودة والملاطفة فإن من شأن ذلك أن يورث البغضاء والمشاحنات التي قد تصل إلى حد ارتكاب الجريمة ولذلك نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن التفرقة بين الأولاد والتمييز بينهم وأمر بالعدل في كل ما يمنحه الوالدان لأولادهما. روى الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت (أعطيت) ابني هذا غلامًا كان لي فقال رسول الله ﷺ: "أكُلَّ ولدك نحلته مثل هذا؟" فقال: لا فقال رسول الله ﷺ: "لا تشهدني على جور" ثم قال ﷺ: "أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟" قال: بلى قال رسول الله ﷺ: "فلا إذن".

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل لمحمد نور سويد – ص ٣١٢.

روى البيهقي عن أنس ﷺ أن رجلاً كان جالسًا مع النبي ﷺ فجاء بُنَيٌّ له فقبله وأجلسه في حجره ثم جاءت بُنَيَّة فأخذها إلى جنبه فقال النبي ﷺ: "فما عدلت".

٤ـ الإسراع بمعاقبة الطفل:

قد يرتكب الطفل بعض الأخطاء العفوية دون إدراك لما فعل لأن أفق الطفل العقلي محدود وليس في استطاعته أن يدرك حكمًا عقليًا ولا يكاد يتجاوز بعقليته المحدودة دائرة المدركات الحسية التي يستوعبها بالتجربة كإدراكه الابتعاد عن كل ما يؤذيه ويسبب له ألمًا يحسه ويشعر مثل ابتعاده عن النار فعلى الوالدين أن يقوما بتوجيهه وتفهيمه بالأخطاء التي يرتكبها قبل معاقبته.

"أما ما يقوم به الوالدان من توقيع العقوبة على الطفل دون إدراك للسبب الأساسي الذي أدى إلى ارتكاب الخطأ بغية إصلاحه فإن هذا العمل لن يفيد إلا في كبت السلوك غير الاجتماعي وعندما يختفي هذا السلوك فإن الوالدين يعتقدان أن الخطأ والاعوجاج الذي طرأ على سلوك ابنهما قد زال وأنه لن يعود إلى ارتكاب مثل هذا العمل بعد ذلك بيد أن هذا في الحقيقة لا يدل على الشفاء لأن العمليات النفسية إذا حرمت إحداها من الظهور وبقيت القوى التي تؤدي إليها حبيسة فإنها لا بد وأن تجد لها سبيلاً للتنفيس وبذلك ينشأ لون جديد من الجنوح.

وليس معنى هذا أننا ننادي بعدم توقيع العقوبة عند ارتكاب الخطأ بل ننادي بأن يعرف السبب الذي أدى إلى الوقوع في الخطأ ويبين للطفل خطؤه ثم يكون توقيع العقوبة بعد ذلك".[1]

والعقوبة تكون بحرمان الطفل من الأشياء التي يحبها ويهواها مثل الدُّمية التي يلهو ويلعب بها وحرمانه من مصروفه اليومي وحرمانه من الخروج إلى التنزه وأيضًا عدم تلبية مطالبه وحذار من ضرب الطفل لأنه لا يصلح وسيلة للتأديب والتقويم خاصة الضرب المبرح لأنه قد يؤدي إلى جنوح الطفل.

---

(١) التربية الإسلامية – مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي لمحمد رجاء حنفي – العدد ٣٦٤ ذو الحجة ١٤١٦ هـ مايو ١٩٩٦ م.

٥- كثرة المشاجرات بين الوالدين:

إن كثرة المشاجرات بين الوالدين تعكس لدى الأولاد شعورًا بعدم الأمان والطمأنينة وتغرس في نفوسهم شعورًا بالخوف والقلق فضلاً عن التقصير في حسن رعاية الأولاد لأن الوقت الذي يضيعه الوالدان في التشاجر يكون على حساب تربية أولادهم.

"فعلى الأبوين أن يعملا على إيجاد جو عائلي يسوده التفاهم والهدوء لأن الطفل الذي يعيش في أسرة لا ينفك الأبوان فيها عن انتقاد بعضهما بعضًا عن طريق المناقشات التي تؤدي إلى المشاحنات تجعل الجو أمام الطفل خانقًا فمثل هذه الأسرة وحياتها لا تؤثر على الطفل فحسب بل وتزعج الكبير أيضًا وتذهب براحته في الأسرة فالانسجام في الأسرة هو أساس النجاح".[١]

٦- عدم تعويد الطفل الاعتماد على النفس:

قد يبالغ الوالدان في الحرص على الطفل والخوف عليه من كل شيء خاصة حينما يفارق الطفل حجر والديه ويتعامل مع أقرانه في المدرسة والنادي. هذا الحرص المبالغ له تأثير سلبي على نفسيته في مرحلة المراهقة من شأنه أن يولد لديه التمرد على الحصار والحظر الذي فرضه عليه والداه وربما يكون رد الفعل عنده قويًا وشديدًا.

ومن شأن مرحلة المراهقة أن تولد لدى المراهق الاستقلال عن أبويه وهما يرفضان ذلك فينشأ صراع لا تحمد عقباه بين الطرفين ومن شأن هذا السلوك الخاطئ من الوالدين مع الأبناء "أن تسيطر عليهم صفات مكروهة مثل الانطواء والخجل والقلق وما إلى ذلك من الصفات الأخرى"[٢] ونتيجة لعدم تعويدهم على الاستقلالية ينشئون بلا خبرات في التعامل مع الآخرين وينشأ الابن ضعيف الإرادة فتكون لديه قابلية التأثر بالآخرين وتقليدهم ومحاكاتهم ليعوض الشعور بالنقص الذي تسبب فيه والداه بخطئهم في تربيته وربما يتلقفه رفاق السوء فيوردونه موارد الهلاك لفقدانه الاعتماد على النفس.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.

"فلابد من اتباع الحكمة في تربية الأبناء فلا تكون قسوة تهدم الكيان تعقد النفس وتطفئ جذوة العقل وتقضي على الشخصية وهذا شر ما يجنيه الآباء على أبنائهم دون أن يشعروا. ولا تكون هوادة ولين ينشأ بهما الابن خاملاً ضعيف الإرادة تهزه أوهى الأحداث وتعصف به أبسط الصدمات".(١)

وكم من الأبناء صاروا ضحية حب الآباء لأن (من الحب ما قتل) إن الرحمة بالابن تتطلب القسوة أحيانًا ومن يك راحمًا فليقسُ أحيانًا ليزدجروا، يقول الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق في كتابه (السعادة العظمى): "إن فرط الرأفة الذي ينشأ من التغالي في حب الأولاد يكسر من صلابة الآباء شيئًا كثيرًا فيدفعهم عن مكافحة طباع أبنائهم الرديئة ومقاومتها بالتأديب ويؤدي بهم ذلك الإهمال إلى التنقل في مراتع الشهوات الزائفة بسبب هذه الرأفة غير الممزوجة بالحكمة. ويترتب على ذلك نتائج وخيمة تثير بين الآباء والأبناء الفرقة والتباعد بمقدار ما كان بينهم من الحنان والمقاربة".

"إن الرأفة والحنان والبناء العاطفي للأولاد كلما كان متوازنًا اقترب نحو البناء الذي يؤتي أكله كل حين بإذن ربه وبإمكاننا تشبيه الرأفة والحنان والعطف بوجبة الطعام، فكما أن الإكثار من الطعام يؤدي إلى التخمة والأمراض فإن زيادة الحنان تؤدي لمرض الدلال الذي يؤدي إلى الميوعة وعدم الجدية".(٢)

وصدق القائل: "إن الحب يعمي ويصم" يعمي أعين الآباء عن رؤية أخطاء أولادهم فلا يقومون بإصلاحها ويصم آذانهم عن نصيحة الناصحين فيستمر أولادهم مقيمين على أخطائهم عاكفين عليها حتى تحدث الكارثة ويشب النشء فارغًا هزيلاً لا ينفع والديه ومجتمعه بل يضرهم.

ولست بهذا أريد نزع الحب الفطري المفطورة عليه قلوب الآباء نحو أبنائهم وإنما أريد التوازن في هذا الحب وعدم المغالاة فيه ذلك أن من شأن المغالاة والإفراط في الحب أن يدفع إلى التقصير في حقوق الله لأن حب الله مقدم على حب

---

(١) المرجع السابق.

(٢) منهج التربية النبوية للطفل – لمحمد فوزي عبد الحفيظ سوية – ص ١٩٦، ١٩٧.

الآباء الأبناء فإذا ما تعارض حب الله مع حب الأبناء فحب الله أولى بالرعاية والتقديم.

فقد يدفع الإفراط الشديد والتغالي في حب الأبناء إلى التغاضي عن أخطائهم وتفريطهم في حق الله فلا ينهونهم عن منكر ولا يأمرونهم بمعروف بل يرون منهم المنكر ويقرونهم عليه.

قال رسول الله ﷺ: "إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1] وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس وقال: "لا تؤمنوا حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه على الحق أطرًا".[2]

وقد جاءت الخطابات القرآنية تحذر الإنسان من فتنة الأولاد ومن أن يطغى حبهم إلى درجة انتهاك الأوامر الربانية وأن يكون سببًا لمقت الله وغضبه، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3].

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[4]

ولكن ما هي الوسيلة عندما يختار الابن طريقًا بعيدًا عن الإيمان ويسلك سلوك الفجار الفساق -أعاذنا الله من هؤلاء الأبناء- إنها المفاصلة الشعورية والجسدية.

---

(١) المائدة: آية ٧٨.
(٢) رواه ابن ماجة - ٤٠٠٦ - ص ٢، ص ١٣٢٧.
(٣) الأنفال: آية ٢٨.
(٤) التوبة: آية ٢٤.

أخرج الشيخان والترمذي عن حذيفة في حديث طويل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "فتنة الرجل في أهله وماله وولده ونفسه وجاره يكفرها: الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

روى الحاكم عن الأسود بن خلف والطبراني عن خولة بن حكيم قال: أخذ النبي ﷺ حسنًا فقبله ثم قال: "إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة"(١) وروى الإمام أحمد والترمذي عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج محتضنًا ابنته وهو يقول: "إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله".

قال الزمخشري في الفائق:

"معناه أن الولد يوقع أباه في البخل إبقاءً على ماله وفي الجهل شغلاً به عن طلب العلم وفي الجبن خوفًا من أن يقتل فيضيع ولده بعده وفي الحزن أنه يحزن لأمره وشأنه وقوله: "وإنكم لمن ريحان الله" يعني أنهم يشمون ويقبلون فهم من جملة الرياحين التي أنبتها الله".(٢)

الآداب الاجتماعية

الآداب الاجتماعية هي الأنماط السلوكية التي يكتسبها الأولاد من الأب والأم، أو من أحدهما في مرحلة الطفولة والصبا، وهي من أهم العوامل التي تشكل شخصيتهم، وتعكس سلوكياتهم في المجتمع، بجانب مؤثرات أخرى، كالمجتمع والمؤسسات التعليمية التي قد تكون ثانوية أو جانبية.

إذا كان تأثير الأسرة قويًا وفعالاً في بناء شخصية الأولاد وتحصيلهم ضد التيارات الوافد والدخيلة السائدة في المجتمع، وإذا ما تهاونت الأسرة في تنشئة الأولاد التنشئة الإسلامية الصحيحة، كانت قابليتهم شديدة للتأثر بعوامل الفساد والإفساد التي تضرب حولهم حصارًا لا يجدون منه مخرجًا ولا فكاكًا. ولن يعصمهم من هذا الخطر الداهم صلاح الأبوين مع إهمالهم في تنشئة أولادهم

---

(١) حديث صحيح – انظر صحيح الجامع رقم ١٩٩٠ عن منهج التربية النبوية للطفل – ص ١٩٨.
(٢) العلماء العزاب عن المرجع السابق.

وتأديبهم بالآداب الإسلامية. وكثيرًا ما يردد الأبوان المقولة الشائعة والخاطئة (الولد هيطلع لأبيه، واكفي القدرة على فمها تطلع البنت لامها).

وكثير من الآباء الصالحين والأمهات الصالحات، ركنوا على صلاحهم وأهملوا بناء شخصية أولادهم، فاغتالهم فساد المجتمع، ولم يغني صلاح الوالدين عنهم فتيلا.

(إن لكل فعل رد فعل مساوٍ له في القوة ومضاد له في الاتجاه)، بمعنى أنه إذا كانت التيارات الفاسدة قوية وشديدة التأثير، فإنه يتعين التصدي بحزم وقوة وصلابة لهذه الأعاصير المدمرة لطاقة الشباب من الجنس والمخدرات.

ومع ذلك فإن كثيرًا من الأسر استطاعت بفضل الله وحوله وقوته، وقدرت حجم هذه المخاطر، فكثفت وضاعفت الجهد في سبيل إنقاذ أبنائهم، فكتب الله لهم التوفيق والنجاح في تربية أولادهم التربية الإسلامية، وتنشئتهم التنشئة الصالحة. فمن جَدَّ وَجَدَ، ومن زَرَعَ حصد، ومن تهاون وفرط خسر وخاب وندم، يوم لا ينفع الندم، وسيحاسبه الله على تقصيره في حق أولاده.

وقد رَغَّبَ رسول الله ﷺ في تأديب الأولاد، فعن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع[1]"[2]. وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ما نَحَلَ[3] والدٌ ولَدًا من نَحَلٍ أفضل من أدب حسن"[4]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"[5].

والآداب التي نعنيها هنا هي الآداب الاجتماعية الإسلامية التي من شأنها أن تجعل النشء على صلة بربه، ملتزمًا بمنهج الإسلام والآداب الاجتماعية في

---

(١) الصاع: مكيال مملوء قمح أو شعير ونحوه.

(٢) رواه الترمذي من رواية ناصح عن سماك عنه وقال حديث حسن غريب، الترغيب والترهيب، جزء ٣، ص ٧٥.

(٣) منَحَ وأعطى.

(٤) الترمذي وقال: حديث غريب، وهذا عندي مرسل. المرجع السابق.

(٥) رواه ابن ماجة.

الإسلام ذاته. فتعاليم الإسلام وآدابه انتظمت حياة الإنسان منذ وجوده على الأرض بخروجه من رحم أمه إلى أن يفارقها ويتوارى في ترابها.

وقد ذكرنا آنفًا أن مرحلة الطفولة هي المرحلة الخصبة التي يقبل فيها التوجيه والتربية. ومما يضاعف المسئولية على الوالدين في حسن تربية الأولاد وتأديبهم وتعويدهم على أنماط الآداب الإسلامية، أن المؤسسات التعليمية التي نعهد إليها بأطفالنا لا تولي التربية الإسلامية اهتمامًا.

واجبات الأبوين

(١) تعليم الأولاد القرآن الكريم

يجب على الوالدين أن يقوما بتعليم الأطفال القرآن الكريم، حتى تسري روح القرآن في نفوسهم، وتستضيء قلوبهم بأنوار القرآن وليكون لهم عصمة ومنجاة في الدنيا والآخرة. إن حفظ القرآن الكريم بركة على الطفل وعلى الأبوين.

بركة حفظ القرآن على الطفل:

[أ] **علو المنزلة في الآخرة:** عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "يُقال لصاحب القرآن: إقرأ وارْق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها"(١).

[ب] **دخول الجنة والشفاعة في أهل بيته:** خَرَّجَ الترمذي وابن ماجة بإسنادهما عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ القرآن فاستظهره فأحَلَّ حلاله، وحرم حرامه، أدخله الله به الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته"(٢).

[ج] **يصبح من خيار الناس:** عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"(٣).

---

(١) رواه أبوداود والترمذي وقال حسن صحيح. شرح رياض الصالحين لابن العثيمين، المجلد الثاني، ص ١٢٤٥.

(٢) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، للحافظ شرف الدين الدمياطي، ص ٢٦١.

(٣) رواه البخاري ومسلم، المرجع السابق.

[د] **الشفاعة لصاحبه:** عن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه"(١).

[هـ] **نزول السكينة والملائكة:** عن أسيد بن حضير قال: "بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذْ جالت(٢) الفرس فسَكَتَ فَسَكَنَتْ، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجْـتَرَّه(٣) رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال له: اقرأ يابن حضير، اقرأ يابن حضير. قال فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبًا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: وتدري ماذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى عنهم"(٤).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "كان رجلٌ يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بِشَطنين(٥) فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: "تلك السكينة تنزلت للقرآن"(٦).

[و] **لا يُرد إلى أرذل العمر:** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من قرأ القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝

---

(١) رواه مسلم، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، المجلد الثاني، ص ١٢٣٦.
(٢) جالت: تحركت واضطربت.
(٣) سحبه حتى لا يصيبه الفرس.
(٤) رواه البخاري، فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، جزء ٨، ص ٦٨٠.
(٥) الشَطَن: الحبل.
(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٠١١)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٢٤٠)، شرح رياض الصالحين لابن العثيمين، ج٢، ص ١٢٤٢.

إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1] قال: الذين قرؤوا القرآن"[2].

[ز] **الإمارة على القوم:** عن أبي هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم يعني ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سنًا فقال: "ما معك يافلان؟"، قال: "اذهب فأنت أميرهم"[3].

[ح] **نور لقارئه في الأرض وذخر له في السماء:** عن أبي ذر ﷺ قال: قلي يارسول الله أوصني، قال: "عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله"، قلت: يارسول الله زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء"[4].

[ط] **يُلبس حلة الكرامة، وتاج الكرامة، ويرضى الله عنه:** عن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يارب حله، فَيُلْبَس حُلة الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فَيُلْبَس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب ارض عنه، فيرضى، فيُقال له: إقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة"[5].

بركة القرآن على الوالدين

عن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ القرآن وتَعلَّمه، وعَمِلَ به، أُلبِسَ والداه يوم القيامة تاجًا من نور، ضوءه مثل ضوء الشمس، ويُكسى و الداه حُلَتين لا تقوم لهما الدنيا فَيَقولان: بما كُسِينا هذا؟ فَيُقال: بأخذ وَلَدِكُمَا القرآن"[6].

---

(١) التين:٥-٦.
(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، المتجر الرابح، ص ٢٦٢.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٦٥.
(٤) رواه ابن حبان في حديث، المرجع السابق، ص ٢٦٥.
(٥) رواه الترمذي وحسنه، وابن خزيمة والحاكم وقال صحيح الإسناد، المرجع السابق.
(٦) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، المتجر الرابح، ص ٢٦٢.

ويقول الحافظ السيوطي: (تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال).

ويقول ابن خلدون: (تعليم الولد أن القرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهالي الله، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، وصار القرآن أصل التعليم الذي يُبنى عليه مما يُحَصَّل بعد من الملكات).

ويقول ابن سينا: (فإذا تهيأ الصبي للتلقين ووعي سمعه، أخذ في تعليم القرآن، وصورت له حروف الهجاء، ولُقن معالم الدين).

وأجاب عمر بن الخطاب أحد أبنائه لما سأله: ما حق الولد على أبيه؟ بقوله: (أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن).

نماذج من حفظة القرآن من الأطفال

يقول الشافعي رحمه الله: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين،وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر). ويقول سهل عبدالله التستري: (مضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست أو سبع سنين). وابن سينا أتقن القرآن وهو ابن عشر سنين.

ويقول الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي عن الإمام النووي رحمهما الله: رأيت الشيخ وهو ابن عشر سنين (بنوى) والصبيان يكرهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته، وكان قد جعله أبوه في دكان فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن القرآن، فأتيت معلمه فوصيته به، وقلت له: إنه يرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع به الناس. فقال لي: أمنجم أنت؟، فقلت: لا وإنما أنطقني الله بذلك، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الحلم.

السلف الصالح والقرآن

وبلغ من حرص سلفنا الصالح على أولادهم واهتمامهم بشأنهم أنهم قاموا بتنشئة أولادهم على حفظ القرآن منذ نعومة أظافرهم. فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يتفاخر بأنه قرأ المحكم على عهد رسول الله ﷺ وهو طفل صغير. فقد ذكر ابن

كثير في فضائل القرآن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم.

وكان الصحابة يحرصون على حضور أولاده ختم القرآن الكريم حتى ينالوا البركة والدعاء. روى الطبراني عن أنس بن مالك ﷺ أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم(١).

وجاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون أن القاضي الورع عيسس بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته. قال عياض: "فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية ــ أسد بن الفرات ــ بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة(٢).

(٢) آداب الاستئذان في الدخول على الوالدين:

الطفل في البيت دائم الحركة، ينتقل بين أرجائه ليل نهار، ويدخل على أبويه في جميع الأوقات دون استئذان، والخدم كذلك. لكن الإسلام يريد أن يحفظ للوالدين حرمتهما، فنظم الدخول عليهما في الأوقات التي يأوي فيها الوالدين إلى فراشهما، وأيضًا حتى لا تقع عين الطفل على عورتهما، فأوجب الاستئذان في ثلاث أوقات، هي مظنة تخفف الوالدين من ثيابهما، أو ظهور عورتهما لاستغراقهما في النوم، أو يكون بينهما ما يكون بين الرجل وزوجته.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٣). وقبل نزول هذه الآية كان الأطفال يقتحمون غرفة نوم والديهما في جميع الأوقات، وكذلك الخدم بغير استئذان.

---

(١) رجال الحديث ثقات، قاله الهيثمي في المجمع ١٧٢/٧ عن منهج التربية النبوية للطفل لمحمد نورسويد، ص١٠٦.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، طبعة ثانية، ص ١٦٧، عن منهج التربية النبوية للطفل، ص ١٠١.

(٣) النور: ٥٨.

دخل غلام من الأنصار يُقال له مدلج بن عمرو على عمر بن الخطاب ﷺ وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه، فقال عمر ﷺ: وددت لو أن الله نهى عن الدخول في هذه الساعات إلا بإذن، فانطلق إلى النبي ﷺ وقد نزلت عليه هذه الآية[1] بتقييد الدخول للأطفال والخدم في الأوقات المذكورة، ومنعه إلا بالاستئذان، وما عدا ذلك فيدخلون دون إذن، إذْ لو كان الاستئذان واجبًا في جميع الأوقات لأفضى ذلك إلى الحرج لأن الأطفال دائمي التردد على أبويهم، وكذلك الخدم. فإذا بلغ الأطفال وأرادوا الدخول، وجب عليهم الإذن في جميع الأوقات كما ورد في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]، أي تستأذنوا، عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قرأ به.

والاستئناس في الأصل الاستعلام والاستكشاف، من آنس الشيء إذا أبصره ظاهرًا مكشوفًا، أي تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا، وذلك بتسبيحة أو تكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح، والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل؟ ثلاث مرات، فإن أُذن له وإلا رَجَعَ. والاستئذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدخول بغير إذن، فكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيت غيره يقول: حييتم صباحًا، وحييتم مساءًا، ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد.

وخلاصة الأمر، أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغو بالاحتلام أو بالسن وجب أن يفطموا عن تلك العادة، ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات، كالرجال الكبار الذي لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بالإذن[3].

---

(١) قال ابن حجر: هكذا نقله الثعلبي والواحدي والبغوي عن ابن عباس بغير سند، عن تفسير النسفي، ج ٣، ص ٢٩٦، ط دار النفائس.

(٢) النور: ٢٧.

(٣) تفسير النسفي، ج ٣، ص ٢٠٧، ٢٢٦، ٢٢٧.

عن أنس ﷺ عنه قال: كنت خادمًا للنبي ﷺ قال: فكنت أدخل بغير استئذان، فجئت يومًا فقال: "كما أنت يابني، فإنه قد حدث بعدك أمر، لا تدخلن إلا بإذن"[1].

هذا الأدب الإسلامي السامي الرفيع يغفله كثير من الناس في حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات مخدوميهم، وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المشاهد، بينما يقرر علماء النفس أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها[2].

وفي أفق هذه الآداب الاجتماعية الإسلامية الراقية يقول الأستاذ البهي الخولي رحمه الله: (حدثني المرشد الشهيد الأستاذ حسن البنا رحمه الله أن جماعة زاروه وهو منهمك في أمر هام جدًا في غرفة أخرى مع بعض أهله، فأمر أن تُعد لهم القهوة، ومكث حتى شربوها دون أن يخرج إليهم، ثم خرج إليهم وجلس يقدم عذره بأنه لا يستطيع أن يجلس معهم كثيرًا لاضطراره إلى استئناف النظر في أمر هام مع آخرين، فغضبوا - وكانوا من الأصدقاء لا من الإخوان - واعتبروا ذلك إهانة، فقال لهم: نحتكم إلى كتاب الله، لقد أمر الإسلام بالاستئناس، وأنتم لم تستأنسوا، فقد تأخرت عنكم وأخرجت لكم القهوة بدون حضوري وذلك موجب للانصراف لدى بصائر المستأنسين، هذه واحدة. أما الأخرى فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾[3]. وأنا لم أقل ارجعوا، بل قدمت القهوة وجئت أعتذر، فإذا أنتم تغضبون لما فعلت، فكيف يكون غضبكم لو أني أمرتكم بما هو أزكى لكم، فقلت: ارجعوا. كما أمر الله عز وجل؟.

قال رضي الله عنه: وكانوا من أهل العفة، فَسُرُّوا بذلك كثيرًا وانصرفوا شاكرين[4].

---

(١) البخاري في الأدب المفرد من الحديث ٨٠٧ عن منهج التربية النبوية للطفل، ص ٢٦٠، محمد نور عبدالحفيظ سويد.

(٢) في ظلال القرآن، ١٢٣/١٨، عن المرجع السابق.

(٣) النور: من الآية ٢٨.

(٤) مجلة (المسلمون)، العدد الثاني، السنة الثالثة، ربيع الثاني ١٣٧٣هـ، ديسمبر ١٩٥٣م.

(٣) تعليمهم كيفية أداء الصلاة:

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، فيجب على الوالدين تعليم أطفالهم الصلاة. وتبدأ مرحلة التعليم في سن السابعة في صورة عملية باصطحابهم إلى المسجد، وأمرهم بالصلاة، وتذكيرهم بها في أوقاتها حتى يشعر الطفل أن أداء الصلاة موضع اهتمام الأبوين، بل يفوق كل اهتماماتهم الأخرى.

روى أبوداود عن سبرة بن معبد الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها"(١). وفي رواية الترمذي قال: "علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر(٢).

وكان رسول الله ﷺ يراقب الصبيان في صلاتهم، ويوجههم، ويعلمهم أحكام الصلاة. أخرج الترمذي عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يا بني، إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان ولابد ففي التطوع لا في الفريضة"(٣).

وعن مالك بن الحويرث قال: قدمنا على النبي ﷺ ونحن شببة فلبثنا عنده نحوًا من عشرين ليلة، وكان النبي ﷺ رحيمًا فقال لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم. مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم(٤).

أخرج أبوداود والترمذي والنسائي عن الحسن بن علي بن أبن طالب رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر، "اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت،وبارك لي فيما أعطيت، وقني

---

(١) منهج التربية للطفل، محمد نور عبدالحفيظ سويد، ص١٢٤.
(٢) أبوداود برقم ٤٩٤، والترمذي برقم ٤٠٧، واسناده حسن، ورواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط مسلم عن المرجع السابق.
(٣) رواه الترمذي برقم ٥٨٩، وفيه علي بن زيد بن جدعان ضعيف، عن المرجع السابق.
(٤) البخاري، فتح الباري.

شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت"[1].

فإذا بلغ الطفل عشر سنوات، تتسع مداركه، ويدخل في مرحلة التمييز، فكان لا بد من إشعاره بأن أداء الصلاة موضع اهتمام الوالدين، فإذا تكاسل الطفل عنها عوقب على ذلك بالضرب.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع".

ومن الغريب أن كثيرًا من الآباء والأمهات يتهاونون في أمر تعليم أبنائهم الصلاة، وحثهم عليها، ومعاقبتهم على تركها، في حين أنهم يولون أمر العناية بمأكلهم وملبسهم. فلو أن الطفل ذهب إلى المدرسة أو خرج إلى الشارع وهو يرتدي ثيابًا غير لائقة قام والداه بزجره وردعه.

(٤) تعويدهم على صلة الأرحام:

صلة الأرحام خلق إسلامي كريم، وخاصية تفرد المجتمع الإسلامي بها، وتميز عن سائر المجتمعات الأخرى في القديم والحديث. فكان قطع الأرحام سمة من سمات الجاهلية القديمة، وأصبح أيضًا من سمات الجاهلية الحديثة. فكان العرب في جاهليتهم لا يرقبون في أرحامهم إلاً ولا ذمة، لكن الله أكرمهم بالإسلام، فأمرهم بصلة الأرحام، وجعلها صفة من صفات المؤمنين. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[2].

وحذر الله تعالى من قطع الرحم، وجعل قطعها صنو الفساد في الأرض، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[3]. وقد جاء في تفسير هذه الآية: أي فلعلكم إن أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه،

---

(١) رواه أحمد عن منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص١٢٥.
(٢) الرعد:٢١.
(٣) محمد:٢٢.

أن تفسدوا في الأرض فتعودوا إلى جاهليتكم، وقيل معناها: أي فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام[1].

ورُوي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله خلق الرحم حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت: بلى، قال: فذاك لك. ثم قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾". وفي صحيح مسلم: "لا يدخل الجنة قاطع" أي قاطع رحم[2].

قال رسول الله ﷺ: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل إذا قطعت رحمه وصلها"[3]، وقال ﷺ: "من سره أن يُبسط له في رزقه، أو يُنسأ له في أثره فليصل رحمه"[4].

(٥) تقريبهم من الصالحين وإبعادهم عن الفاسدين:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة"[5].

هذا الحديث من جوامع كلم النبي المربي محمد ﷺ، يرسم لنا منهجًا تربويًا عمليًا، فالشرارة الأولى في إفساد الشباب تنطلق من مخالطة صديق سيئ يقوده إلى الهاوية، ويسقطه في فتنة الرذيلة من الجنس والمخدرات، ويورده موارد الهلاك.

إن ابنك لابد أن يتعامل مع هذه الرفقة السيئة ولو بقدر يسير في الشارع، في المدرسة، في الجامعة. فإن أنت حصنته بالتنشئة الصالحة كانت درجة تأثير الرفقة السيئة عليه كالريح الخبيثة المنبعثة من (الكير)، تمر على أنفه فيشمها وسرعان ما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد الثامن، الجزء السادس عشر، ص١٦٢.

(٢) البخاري ومسلم عن صلة الأرحام، مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٠٣، رمضان ١٤١٧هـ/ يناير ١٩٩٧م، ص ٢٣.

(٣) البخاري، كتاب الآداب.

(٤) البخاري، كتاب البيوع.

(٥) رواه البخاري ومسلم عن الترغيب والترهيب للمنذري، جزء ٤، ص ٤٩.

يزول أثرها، وإن أنت أهملته دون تحصين، وتركته دون تأديب، كانت درجة تأثره بالرفقة السيئة كهذا الذي احترقت ثيابه بنار الكير.

أما الرفقة الصالحة فلن ينال منها إلا الخير والبركة، فقد يوفقه الله ويتآلف مع هذه الرفقة الطيبة، ويكون واحدًا منهم فينحو نحوهم، ويسلك سبيلهم، وهو سبيل الخير والصلاح والرشاد. وإن لم يكن ذلك فسوف يحظى بشرف صحبة الصالحين عسى أن يكون يومًا ما منهم، فمن سار على الدرب وصل:

(لأن القلوب جُبلت على حب تقليد الصالحين، والسير على منوالهم، وعلى الرغبة في التأسي بهم والاقتداء بأفعالهم وأقوالهم، وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم. إن التشبه بالكرام فلاح، ومجالسة الصالحين أو سماع أخبارهم، أو قراءة وقائعهم وسيرهم من أهم مقاصد العقلاء الصلحاء. يقول عمر بن الخطاب ﷺ: لولا ثلاث في الدنيا لما أحببت البقاء فيها:

١. لولا أن أحمل أو أجهز جيشًا في سبيل الله.
٢. ولولا مكابدة الليل. يعني قيام الليل والعبادة فيه لتحصيل ما فيه من جزيل الثواب.
٣. ولولا مجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما يُنتقى أطايب التمر)[1].

(٦) تنشئتهم على حب النبي ﷺ:

وإنما يكون ذلك بتعريفهم بسيرة سيدنا محمد ﷺ منذ ولادته، ونشأته، ومبعثه، وهجرته، وغزواته، بأن يقص الوالدان على الأطفال السيرة النبوية بأسلوب شيق جذّاب، فتنطبع في نفوسهم سيرة النبي ﷺ، فإذا ما بلغوا مرحلة الشباب ترسخ في قلوبهم حب النبي ﷺ.

عن أنس ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة، فقال رسول الله ﷺ: "وما أعددت لها؟" فقال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: "أنت مع مَن

(١) رسالة المسترشدين للمحاسبي، تعليق عبدالفتاح أبوغدة، ص ٥.

أحببت". قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبابكر وعمر فأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم"[1].

وحب النبي ﷺ يكون أيضًا بتعويد الأولاد الصلاة على النبي ﷺ، فبها تفرجُ الكروب، وتغفر الذنوب. ففي الحديث الصحيح أن رجلاً قال: يا رسول الله أأجعل ثلث صلاتي عليك؟ قال: "ما شئت، وإن زدت فهو خير لك"، قال: الثلثين قال: "ما شئت وإن زدت فهو خير لك" قال: أأجعل لك صلاتي كلها؟، قال: "إذن يكفيك همك ويغفر لك ذنبك"[2].

(٧) تربيتهم على المسئولية:

(إن تربية الشباب على المسئولية من أول واجبات البيت والمدرسة والمجتمع. لأن الفرد المسلم مسئول بكل ما لهذه الكلمة من معانٍ، وعلى أساس هذه المسئولية تكون التكاليف الشرعية والاجتماعية، وفترة الشباب من أخصب فترات العمر، فيها يقدم العمل النافع لأسرته وأمته.

والمسئولية هي التي ترتفع بالشباب وتسمو به من عالم الغرائز الدنيوية إلى عالم المثاليات، وهي التي تجعل الشباب ملتزمًا بكلمته، موفيًا لعهوده ومواثيقه، وهي التي تعلم الشباب بناء العلاقات الفردية والاجتماعية على أسس من الأخلاق السامية والمثل العليا.

ولكي يمارس الشباب مسئوليته في الحياة، يجب على الوالدين تعويده منذ الصغر على تحمل المسئولية، بأن يكلف ببعض المهام التي تصقل خبرته، وتعوده على كيفية التصرف منفردًا في مواجهة المشاكل التي تعترضه في الحياة.

إن إحساس الشباب بالمسئولية في الحياة يستمد من تربيته ومن الفرص التي تتاح له، والمسئوليات التي تناط به حتى يحس للحياة طعمًا، وللمعاناة في سبيل أداء الواجب متعة)[3].

---

(١) رواه أحمد والشيخان، عن منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ٩١.
(٢) رواه الترمذي وأحمد.
(٣) مشكلات الشباب، الحلول المطروحة والحل الإسلامي، للدكتور عباس محجوب (كتاب الأمة، رسالة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر)، ص ٦٢.

فلقد أتاح رسول الله ﷺ الفرصة لأسامة بن زيد وهو شاب دون العشرين وولاه قيادة الجيش في معركة الروم، وكان تحت إمرته كبار الصحابة. ودعا النبي ﷺ القائد الشاب أسامة بن زيد وقال له: "سر إلى موضع مقتل أبيك[1] فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، وأغر صباحًا عليهم، وأسرع السير تسبق الخير، فإن ظَفَّرك الله بهم فأقلَّ اللبث[2] فيهم".

ونظرًا لصغر سن أسامة تكلم بعض الصحابة في قيادته للجيش، فلما علم الرسول بمقالتهم قال: "إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وأيْمُ الله إن كان لخليقًا بالإمارة[3]، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده"[4].

وقد كان تأمير أسامة لحكمة بالغة من الرسول ﷺ، إذ فيه حث له على التضحية في سبيل الله، والحرص على الاقتصاص من قاتلي أبيه، كما فيه نهي عن العنجهية العربية والتفاخر بالأحساب والأنساب، وتقرير عملي لمبدأ المساواة في الإسلام، لأن والد أسامة كان في قافلة مع أمه وهو طفل صغير، فأغار على القافلة قطاع الطرق واختطفوا زيد من أمه وباعوه في سوق العبيد، فاشتراه حكيم بن حزام، ووهبه للسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها زوجة رسول الله ﷺ.

وأيضًا فقد كان من التوجيهات النبوية الحكيمة تهيئة الفرص للشباب الصالح وتأهيلهم للقيادة، وتحمل المسئولية، وإثارة عزائمهم وهممهم إلى معالي الأمور، وتعويدهم الاضطلاع بالتبعات الجسام والمهام العظام، ومن أعظم المهام وأخطرها قيادة الجيوش[5].

---

(١) كانت هذه الغزوة بعد غزوة تبوك التي استشهد فيها زيد بن حارثة والد أسامة، وعبدالله بن رواحة، وجعفر بن أبي طالب.

(٢) اللبث: المكث.

(٣) جديرًا بالإمارة وأهلاً لها.

(٤) رواه البخاري نقلاً عن السيرة النبوية لمحمد أبوشميه، ج ٢.

(٥) السيرة النبوية لمحمد أبو شهبه بتصرف، ج ٢، ص ٥٨٥، ٥٨٦.

فأين نحن وأين شبابنا من هذه التربية النبوية الكريمة. إن من هم في سن أسامة القائد يعيشون حياة اللهو والعبث والمجون، لا يتحملون مسئولية أنفسهم، إنما يلقون التبعة على آبائهم لعدم تربيتهم على تحمل المسئولية.

حقوق الوالدين على الأبناء

إن المنهج الإسلامي في بناء الأسرة والمجتمع يقوم على التوازن المنضبط بقواعد شرعية ثابتة صالحة لكل زمان ومكان، وأي عبث أو إخلال بتلك الضوابط ينتج عنه خلل في الأسرة وفي المجتمع.

فنجد في مرحلة الطفولة، رتب الإسلام للأطفال حقوقًا على الآباء، لا لأنهم قادرون على العطاء، في هذه المرحلة فحسب، وإنما مفطورين عليه بحكم الرحمة التي أودعها الله قلوب المخلوقات. عن سعيد بن المسَيَّب أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "جعل الله الرحمة في مائة جزء، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءًا وأنزل في الأرض جزءً واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه"(١).

ويعرض لنا رسول الله ﷺ مشهدًا حيًا من مشاهد الحب والعطف الأبوي الفطري الذي في قلب الأم نحو ولدها رغم أنه كان عاقًا لها. عن عبدالله بن أبي أوفى ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه فقيل له: قل لا إله إلا الله، فلم يستطع. فقال ﷺ: كان يصلي؟ فقال: نعم. فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: قل لا إله إلا الله، فقال: لا أستطيع، قال: لِمَ؟ كان يعق والدته. فقال النبي ﷺ: أحيَّةٌ والدته؟ قالوا: نعم. قال: أدْعوها فدعوها فجاءت، فقال: هذا ابنك؟ فقالت: نعم. فقال لها: أرأيت لو أُجِّجَتْ نار ضخمة فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار، أكنت تشفعين له؟ قالت: يا رسول الله، إذًا أشفع له. قال: فاشهدي الله واشهديني قد رضيت عنه، قالت: اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني. فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام قل: لا

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة في مائة جزء، الجزء العاشر، ص٤٦٦

إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمدًا عبده ورسوله، فقالها، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار"(١).

يقول الشاعر أحمد شوقي:

وإذا رحمت فأنت أب وأم هذان في الدنيا هما الرحماء

وإذا كان حب الوالدين للأبناء أمر فطري، والقيام عليهم بحسن الرعاية كذلك فقلما تجد أبًا لا يحنو على ولده أو يقصر في حقه لا يريد منه جزاءً ولا شكورا، بينما كثيرًا ما نرى أولادًا يقصرون في حق والديهم، خاصة عند الكبر حينما يكون الوالدين أو أحدهما في حاجة ماسة إلى عطف الأبناء والقيام على شئونهم، ناهيك عن عقوقهم.

وقد انتشر عدم البر بالوالدين لأسباب أهمها: عدم وجود الوعي الإسلامي بخطورة هذا الأمر، والتحذير منه، وانشغال الأبناء بأمورهم الخاصة، وتقليدهم للغرب. وفي دور المسنين متسع لإيواء الآباء والأمهات، الشيوخ والعجائز.

لذلك حث الله تعالى في كتابه الكريم، وعلى لسان نبيه الأمين ﷺ على بر الوالدين، وحذر من عقوقهما. قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾(٥).

وعن أبي عبدالرحمن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: "الصلاة على وقتها"، قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين"،

---

(١) رواه الطبراني وأحمد مختصرًا، نقلاً عن الترغيب والترهيب للمندري، الجزء الثالث، ص ٣٣٢.
(٢) النساء: من الآية٣٦.
(٣) العنكبوت: من الآية٨.
(٤) الاسراء:٢٣-٢٤.
(٥) لقمان:١٤.

قلت ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"[1]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يجزي ولدٌ والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيعتقه"[2].

وعن أبي هريرة ﷺ عنه قال: جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحُسن صحابتي؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أبوك"[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: صعد النبي ﷺ المنبر فقال: آمين آمين آمين، قال: "أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد: من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يَبَرَّهما فمات فدخل النار فأبعده الله، قل آمين، فقلت: آمين. فقال: يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يُغفر له فأُدخل النار فأبعده الله، فقل آمين، فقلت آمين، قال: من ذُكِرت عنده لم يصل عليك فمات دخل النار فأبعده الله فقل آمين، فقلت آمين"[4].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: "بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي، وأنه ناء بي الشجر[5] فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وكرهت أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء. ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء. وقال الثاني: اللهم

---

(١) أخرجه البخاري ــ واللفظ له ــ في مواقيت الصلاة (٥٢٧)، ومسلم في الإيمان (١٣٩)، والإمام أحمد في مسنده (٤٠٩/١، ٤١٠) نقلاً عن شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ص ٦٩٠، المجلد الأول.

(٢) أخرجه مسلم في العتق، وأبوداود في الأدب،والترمذي في البر والصلة، نقلاً عن المرجع السابق.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم عن المرجع السابق، ص ٦٩٢.

(٤) رواه ابن حبان والطبراني نقلاً عن الترغيب و الترهيب، الجزء الثالث، ص ٣١٨.

(٥) بَعُدَ بي الشجر لطلب المرعى.

إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يُحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار، فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبدالله، اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه. فقمت عنها. اللهم فإن كنت تعلم أني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منها، فَفَرج لهم فرجة. وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفَرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بَقَرًا وراعيها، فجاءني وقال: اتق الله ولا تظلمني واعطني حقي، فقلت: اذهب إلى تلك البقر وراعيها، فقال: اتق الله ولا تهزأ بي. فقلت: إني لا أهزأ بك، فخذ تلك البقر وراعيها، فأخذه وانطلق. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي، ففرج الله عنهم"[1].

والذي يتأمل آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، يجد أنهما قد أكدا وشددا على الأبناء بالإحسان إلى الوالدين وبرهما، ورغبا في ذلك، ووعد الأبناء البارين بوالديهم بحسن المثوبة في الآخرة، والسعادة في الدنيا. وحذرا من عقوقهما أشد التحذير، وجعله من الكبائر، (وإنما أمر الله ببر الوالدين دون العكس لأن الأولاد جبلوا على القسوة وعدم الطاعة للوالدين، فكلفهم الله تعالى بما يخالف طبعهم، والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالأولاد، فوكلهم لما جُبلوا عليه)[2].

التحذير من عقوق الوالدين

عقوق الوالدين كبيرة من كبائر الذنوب، بل من أكبر الكبائر، والعقوق هو صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل، إلا في شرك أو معصية.

عن أبي بكرة عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟" قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين"، وكان متكئًا فجلس فقال: "ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور"، فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت[3].

---

(١) البخاري، فتح الباري: كتاب الأدب، الجزء العاشر، ص ٤١٨.
(٢) صفوة التفاسير، الجزء الثاني، ص ٤١٦.
(٣) فتح الباري، الجزء العاشر، ص ٤١٩.

حنان أب وعقوق ابن

غذوتـــك مولـــودًا وعلـــتك يافعًـــا ... تعـــل بمـــا أجنـــي علـــيك وتنهل
إذا لـــيلة ضـــافتك بالســـقم لم أبت ... لســـــقمك إلا ســـــاهرًا أتململـــــل
كأنـــي أنـــا المطروق دونك بالذي ... طرقـــت بـــه دونـــي فعينـــي تهمل
تخـــاف الـــردى نفسي عليك وإنها ... لـــتعلم أن المـــوت وقـــت موجـــل
فلمـــا بلغـــت الســـن والغايـــة التي ... إلـــيها مـــدى مـــا كنت فيك أؤمل
جعلـــت جزائـــي غلظـــة وفظاظة ... كـــأنك أنـــت المـــنعم المتفضـــل
فليـــتك إذ لـــم تـــرع حـــق أبوتي ... فعلـــت كمـــا الجـــار المجاور يفعل
فأوليتنـــي حـــق الجـــوار فلـــم تكن ... علـــيّ بمـــالٍ دون مـــالك تـــبخل

عطف أبوي [1]

لقـــد زاد الحـــياة إلـــيَّ حـــبًا ... بناتـــي إنهـــن مـــن الضـــعاف
أحـــاذر أن يريـــن الفقـــر بعـــدي ... وأن يشـــرين رنقًـــا بعـــد صـــاف
وأن يعريـــن إن كســـي الجـــواري ... فتنـــبو العيـــن عـــن كـــرم عجاف
ولـــولا ذاك قـــد ســـومت مُهـــري ... وفـــي الرحمـــن للضـــعفاء كـــاف
أبانـــا مـــن لـــنا إن غبـــت عـــنّا ... وصـــار الـــناس بعدك في اختلاف

أولادنا أكبادنا

ولـــولا بُنـــيات كزغـــب القطـــا ... حططـــن مـــن بعـــض إلى بعض
لكـــان لـــي مضـــطرب واســـع ... فـــي الأرض ذات الطول والعرض
وإنمـــــا أولادنـــــا بينـــــنا ... أكـــبادنا تمشـــي علـــى الأرض
لـــو هـــب الـــريح علـــى بعضهم ... لامتنعـــت عينـــي مـــن الغمـــض

مع الشاعر عمر بهاء الأميري

وأخيرًا فلنستمع إلى ما يقوله الشاعر الكبير الأستاذ عمر بهاء الأميري في صدق الحنان والشاعرية، وذلك لما سافر أولاده الثمانية من المصيف إلى حلب،

---

(١) للشاعر أبي خالد القِنّاني.

فتلبث وحده في خلوة شعرية ليتحف الأدب العربي قصيدة من غرر القصائد في محبة الآباء للأبناء:

أيـن الضـجيج العـذب والشـغب ... أيـن الـتدارس شـابه اللعـب
أيـن الطفولـة فـي توقدهـا ... أيـن الدمـى فـي الأرض والكتب
أيـن التشـاكس دونمـا غـرض ... أيـن التشـاكي مالـه سـبب
أيـن التباكـي والتضـاحك فـي ... وقـت معًـا، والحـزن والطـرب
أيـن التسـابق فـي مجاورتـي ... شـغفًا إذا أكلـوا وإن شـربوا
يـتزاحمون علـى مجالسـتي ... والقـرب منـي حيـثما انقلـبوا
يـتوجهون بسـوق فطـرتهم ... نحـوي إذا رهـبوا وإن رغـبوا
فنشـيدهم (بابـا) إذا فـرحوا ... ووعـيدهم (بابـا) إذا غضـبوا
وهـتافهم (بابـا) إذا ابـتعدوا ... ونجـيهم (بابـا) إذا اقـتربوا
بـالأمس كـانوا مـلء منزلـنا ... واليوم، ويـح اليوم، قـد ذهبوا
وكأنمـا الصـمت الـذي هبطـت ... أثقالـه فـي الـدار إذ غـربوا
إغفـاءة المحمـوم هدأتهـا ... فـيها يشـيع الهـم والتعـب
ذهـبوا، أجـل ذهـبوا، ومسكنهم ... فـي القلـب، ماشـطوا وما قربوا
إنـي أراهـم أينـما التفتـت ... نفسـي وقـد سـكنوا، وقـد وثبوا
وأحـس فـي خلـدي تلاعـبهم ... فـي الـدار لـيس ينالهم نصب
وبـريق أعيـنهم، إذا ظفـروا ... ودمـوع حرقـتهم إذا غلـبوا
فـي كـل ركـن مـنهم أثـر ... وبكـل زاويـة لهـم صـخب
فـي الـنافذات زجاجهـا حطمـوا ... فـي الحـائط المدهـون قـد ثقبوا
فـي الـباب قـد كسـروا مزالجه ... وعلـيه قـد رسـموا وقـد كتبوا
فـي الصـحن فـيه بعض ما أكلوا ... فـي علـبة الحلـوى التـي نهبوا
فـي الشـطر مـن تفاحـة قضموا ... فـي فضـلة المـاء التـي سكبوا
إنـي أراهـم حيـثما اتجهـت ... عينـي كأسـراب القطـا سـربوا
بـالأمس فـي (قـرنايل) نـزلوا ... واليوم قـد ضـمتهم (حلـب)
دمعـي الـذي كتمـته جلـدًا ... لمـا تـباكوا عـند مـا ركـبوا

حـــتى إذا ســـاروا وقـــد نـــزعوا ... مـــن أضـــلعي قلـــبًا بهـــم يجـــب
ألفيتنـــــي كـــــالطفل عاطفـــــة ... فـــــإذا بـــــه الغيـــــث ينســـــكب
قـــد يعجـــب العُـــذَّال مـــن رجـــل ... يبكـــي، ولـــو لـــم أبـــك فالعجـــب
هـــيهات مـــا كـــل الـــبكا خـــور ... إنـــي وبـــي عـــزم الـــرجال أبُ[1]

الفراغ وخطره على الشباب

الفراغ من أخطر الآفات التي تهدد الشباب والمجتمع، فعندما تكون الطاقات البشرية – خاصة في مرحلة الشباب – معطلة يحدث عندئذ ذلك الضياع "الفراغ".

وما نراه اليوم في مجتمعاتنا من تسيب الشباب، وتسكعه في الطرقات والشوارع، وجلوسه في المقاهي وارتياده لأماكن اللهو والرذيلة، وتعاطيه المخدرات، وإدمانه لها، واعتناقه للمذاهب الفكرية الضالة، وانحرافه عن جادة الصواب، هو نتاج طبيعي وحتمي للفراغ النفسي والعقلي الناتج عن إهمال التربية الإسلامية للطفل.

إن الفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة، (ولقد نهج الإسلام منهجًا وسطًا في شغل أوقات الفراغ، فلم يجعل الحياة كلها جدًا يؤدي للملل، بل أخذ من الجد ما يصل به الإنسان إلى تحصيل العلوم والمعارف والفضائل، وأخذ من المزاح ما يبعد عنه الملل والسأم. وقد اتخذ الإسلام موقفًا إيجابيًا من الترويح وشغل أوقات الفراغ. يقول رسول الله ﷺ: "روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت"، وكان رسول الله ﷺ يروح عن نفسه إذ كان يتسابق مع زوجته السيدة عائشة، كما أنه صارع شبابًا من قريش قبل الإسلام وبعده)[2].

ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال ﷺ: "حدث الناس كل جمعة مرة، وإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك

---

(١) نقلاً عن كتاب: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان.

(٢) منهج التربية الإسلامية في ملئ أوقات الفراغ، لعثمان سيد أحمد خليل، عرض ليلي عبدالرحمن السلطان، مجلة منار الإسلام، العدد ٣٤٣، رجب ١٤٢٤هـ، سبتمبر ٢٠٠٣م.

تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتَقصُّ عليهم فتقطع عليهم حديثهم، فتَملُّهم، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه"[1].

وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ قوله: (علموا أولادكم السباحة والرماية وأن يثبوا على الخيل وثبًا).

وقد سَبَح رسول الله ﷺ وهو صغير في بستان أخواله بني النجار، ولعب مع الصبيان[2]. وعن أبي العالية أن رسول الله ﷺ مر بفتية يرمون، فقال رسول الله ﷺ: "ارموا يا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا"[3].

سمات المنهج الإسلامي للترويح

أن يتوافق مع قيم المجتمع الإسلامي وتعاليمه ونظمه، فيتعين على المسئولين الدقة في اختيار برامج الترويح، بحيث لا تتعارض مع القيم والأخلاق والفضائل الإسلامية، والتركيز على أداء الممارسات الترويحية في الإطار الأخلاقي الإسلامي، والالتزام بما يقتضيه الشرع من ملبس وسلوك وضوابط اجتماعية. لأن عدم معارضة الإسلام للترويح لا يعني أن تصبغ الحياة في المجتمع الإسلامي بصبغة هزلية، يصبح المجتمع لاهيًا عابثًا[4]، وهو شأن المجتمعات الإسلامية اليوم.

يقول الشيخ عبدالحليم محمود وزير الأوقاف وشيخ الأزهر السابق رحمه الله ــ في كتابه "موقف الإسلام من العلم والفن والفلسفة" ــ (إننا نحارب الفن المنطلق، الفن المتحرر، الفن المكشوف، الفن الإباحي، الفن اللاديني.

لماذا يتجه الفن إلى التحرر وتسود فيه ــ رغم نداء المصلحين ــ فكرة التحرر، إنه كذلك لأن هذا يتماشى مع الشهوات والغرائز والرغبات الجنسية، وتنتهي المشكلة، مشكلة الفن ــ لا محالة ــ إلى السؤال التالي:

---

(١) البخاري، فتح الباري، كتاب الدعوات، جزء ١١، ص١٤٢.
(٢) رواه أحمد عن أنس، من منهج التربية النبوية للطفل، مرجع سابق، ص ٢١١.
(٣) رواه سعيد بن منصور وهو صحيح، أنظر صحيح الجامع رقم ٣٥٢٠، عن المرجع السابق.
(٤) منهج التربية الإسلامية في ملئ أوقات الفراغ، مرجع سابق.

هل من الواجب أن يخضع الفن للغرائز، أم من الواجب أن نوجهه إلى الفضيلة؟

لقد ذهبت مرة إلى تسجيل في الإذاعة، وكان ذلك في شهر رمضان، ولظرف طارئ غيَّرت الإذاعة مكان تسجيل الحديث، وذهبت إلى مكان التسجيل الجديد، فإذا به مكان تسجيل التمثيليات، وإذا بالممثلات كثيرات ينتظرن التمثيل، وبعضهن يسترحن خارجات من التمثيل، فكان في "شهر رمضان" العري الفاضح، والجلسات التي لا تتسم بالأدب، والتدخين والشراب والكلمات التي لا تتسم بالتهذيب، والضحكات الخارجة، وغير ذلك من نواح لا أخلاقية. إن هذا اللون من السلوك، وهذا التصور للحياة، وهذا الطابع للأخلاق: هو الذي نحاربه في الفن، فإذا وجد من يبيحه فإنه لا يكذب على الله ــ وحسب ــ وإنما يكذب على نفسه)[1].

ويقول الدكتور عبدالحليم محمود رحمه الله عن الأدب الهابط الذي يشغل به شبابنا وفتياتنا وقت فراغهم بعنوان "الأدب للأدب": (ويعنون بذلك: أن الأديب يجب ألا تقيده حدود من تقاليد أو عرف أو دين أو خلق أو فضيلة أو قومية، وأنه يجب أن يسير في كتابته حرًا طليقًا من كل تحديد.

هذه البدعة نشأت في الجو اليوناني القديم، وهو جو تَخَلَّى فيه الأدباء عن الدين ونشأت في بيئة سادها جو السوفسطائيين. إنها نشأت في مجتمع كانت مظاهر الوثنية تحت بصر الإنسان، وأحاديثها تملأ سمعه. مجتمع آلهته الوثنية: شهوانيون، مرتشون، لا يعرفون عدالة ولا إنصافًا، وإنما يحابون من يقدم لهم القرابين، ويخذلون من لم يتخذ عندهم يدًا من الهدايا والأضاحي. وفي هذا المجتمع اليوناني القديم، كانت كل بدعة تجد لها أنصارًا، وكل ضلال يجد له من يتبعونه.

وسادت بدعة "الأدب للأدب"، وكتب الأدباء الأدب المكشوف، الأدب الجنسي، أدب الإثارة، أدب الشهوة، الأدب الذي يستثير الغرائز، ويحرض على الخيانة الزوجية، ويدعو إلى التحلل. وهذا الأدب عند المراهقين وعند الشبان في بواكير عهدهم بالشباب، وعند الفتيات المراهقات ومن هن في بواكير العهد بالشباب، ومن

---

(١) موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، الدكتور عبدالحليم محمود، ص ٥٨-٦٠، طبعة مكتبة الأسرة.

وراء "هذا النوع المسف من الأدب" ثراء لمن يكتبون، فلم يتورعوا عن الاندفاع في الكتابة بما يرضي شياطين الإنس والجن من أجل المال.

وفي عصرنا الحاضر، وفي بيئتنا المصرية، طائفة من الكُتَّاب من هذا النوع، يلعنهم الله ورسوله ﷺ، ويلعنهم كل من يعشق الفضيلة، وكل مؤمن صادق الإيمان.

والأدب في أوضاعه المستقيمة، إنما هو لإصلاح المجتمع، والسير به في طريق الكمال خطوة فخطوة، وإن كل من يضع لَبِنَتَه في صرح الفضيلة فإنما يضع لبتةً في صرح الكمال، وإن كل من يضع لبنةً في صرح الرذيلة، فإنما يضع لبنةً في صرح النقص. وإن الأدباء الذين يجرون وراء الاستثارة الجنسية والأدب المكشوف: خائنون ويعيشون في مقت الله لأنهم مفسدون)[1].

معالم المنهج الإسلامي للتربية

إن ما ذكرناه من واجبات ومسئوليات الآباء نحو الأبناء ليس حصرًا للمسئولية في هذا النطاق المحدود، إنما هو سرد للأركان الأساسية للمسئولية التربوية، لأن الأخلاق الإسلامية شاملة شمول الإسلام ذاته.

إن الأخلاق الإسلامية التي وضع دستورها القرآن الكريم، وشرح معالمها محمد ﷺ ليس من السهولة حصرها في أبحاث، وإفراغها في كتب ومجلدات. بمعني أننا لا يمكننا أن نحدد للأبوين قوالب ثابتة لصياغة أبنائهم، فنكون إذًا قد ضيقنا واسعًا، وإنما يكفينا من القلادة ما أحاط بالعنق.

إننا في هذا البحث نحدد معالم المنهج ونبين الأهداف فنقول: (إن للتربية الإسلامية أهدافًا دينية ودنيوية تقوم على ركيزتين أساسيتين هما:

(١) تقدير قيمة الإنسان وتأكيد إنسانيته وكفاءته وقدرته على تحمل مسئولياته.

(٢) تحقيق استجابة الإنسان والتزامه بما جاء في كتاب الله الكريم، وسنة نبيه المباركة.

---

(١) المرجع السابق، ص ٣، ٣٤، ٣٥.

(٣) التأكيد على أهمية الاستقامة، واتباع الضوابط السلوكية التي يقرها الدين لتمكين الشباب من اكتساب المعارف والأخلاق والمهارات، وتسخير ذلك لتعمير الأرض، واستقرار الحياة.

(٤) التغلب على مشكلات الشباب بتوجيهه إلى الشرع الحنيف، وتعاليم الإسلام السمحة.

(٥) استغلال طاقات الشباب واستعداداته للوصول إلى نموه المتكامل، وتمكينه من تحمل مسئولياته.

(٦) تنمية المواطنة والانتماء والعلاقات الاجتماعية المتكاملة عن طريق تربية الإنسان الصالح.

(٧) تهيئة الشباب لتحمل الحياة الزوجية والواجبات الأسرية.

(٨) تنمية التبعات والمسئوليات الاجتماعية، وتنمية السلوك المتكافئ مع أفراد المجتمع باتزان وتعقل وانضباط.

(٩) إثراء روح تقبل الذات بإتاحة الفرصة لتنمية القدرات الجسمية والنفسية والاجتماعية، وتقبل الآخرين ومشاركتهم بروح طيبة، وذلك كي يتم إبعاد الشباب عن التجاذب نحو مساوئ المدنيات المعاصرة بما تحمله آثارًا مدمرة)[١].

وخلاصة أهداف المنهج التربوي الإسلامي:

[١] إيجاد الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه.

[٢] إيجاد البيت المسلم، ولذلك يجب العناية بالمرأة مثل العناية بالرجل، والعناية بالطفولة مثل العناية بالشباب[٢].

[٣] إيجاد الشعب المسلم في ذلك كله أيضًا.

---

(١) منهج التربية الإسلامية في ملئ أوقات الفراغ لعثمان سيد خليل، عرض ليلى عبدالرحمن السلطان، مجلة منار الإسلام، مرجع سابق.

(٢) رسالة إلى الشباب للأمام حسن البنا.

عقبات في طريق التربية الإسلامية

أولاً: تناقض مصادر التأثير:

المؤثرات السلوكية في النشء تتعدد وتتنوع، ومن أهم المؤثرات: الأسرة والبيئة والنظام السياسي بمؤسساته المتنوعة وعلى رأسها الإعلام والمؤسسات التعليمية بمستوياتها المختلفة. ولكي تنجح العملية التربوية وتؤتي ثمارها في المجتمعات الإسلامية التي تدين بالإسلام عقيدة وشريعة، فتتشكل هويتها الاجتماعية والثقافية فيه من خلال منظومة القيم الإسلامية المنبثقة من منهج التربية الإسلامية، والذي بينا أسسه ومعالمه، يتعين أن تتعاون جميع المؤسسات التربوية من الأسرة والنظام السياسي والمؤسسات الإعلامية والتعليمية، وتلتقي على هدف واحد هو إيجاد الفرد المسلم في عقيدته وسلوكه وأخلاقه وقيمه، وإيجاد الأسرة المسلمة كذلك، وإعداد المجتمع المسلم كذلك. وليس ذلك إخلالاً بمبدأ المواطنة، ولا يتعارض معه، فهناك قدر مشترك بين الإسلام والديانات السماوية في مجال الأخلاق والقيم والآداب الاجتماعية إذا تمسك أتباع هذه الأديان بهذه المبادئ الأخلاقية. لقد عاش هؤلاء ويعيشون تحت سقف الإسلام كنظام يلتزمون بقيمه، إن لم يؤمنوا به دينًا.

نعود إلى ما ذكرناه آنفًا من أن تعاون الأسرة والدولة وأجهزة الإعلام في العملية التربوية ضرورة لازمة لنجاحها، لكن الذي يحدث في المجتمعات الإسلامية هو تضارب وتناقض مؤسسات الدولة، وبصفة خاصة الإعلام من صحافة وتلفزيون مع الأهداف التي تنشدها الأسرة في تربية الأولاد على قيم الإسلام وأخلاقه. فما تبنيه الأسرة تهدمه الأجهزة التي تبث ما يثير الغرائز الجنسية في نفوس الشباب والفتيات عبر التلفزيون والصحافة.

فضلاً عن التناقض الذي يراه الأولاد في البيئة التي يتعايشون معها بعد خروجهم من النطاق الأسري الذي تعلموا فيه كثيرًا من القيم والأخلاقيات. يتعودون في الأسرة على الصدق، فيجدونه في المجتمع بضاعة كاسدة في أوساط كثيرة في بيئة ألفت الكذب في تعاملاتها. يتعودون على الإيثار، فيجدون التعامل في المجتمع يقوم على الأثرة والأنانية والنفعية.

هذه التناقضات من أخطر العقبات التي تقف حائلاً دون إتمام منهج التربية الإسلامية للأولاد، وربما تؤدي إلى انتكاسة خطيرة، خاصة في مرحلة المراهقة، خاصة أن البيئة قد تطغى بما فيها من مفاسد ومغريات على أحاسيس ومشاعر الفتى المراهق فتحول المسار الذي كانت تنشده الأسرة لأبنائها من تنشئتهم على تعاليم الإسلام علمًا وعملاً، ويسير الأبناء مع التيار الفاسد السائد في البيئة، والذي يجد له أنصارًا يدفعونه بقوة وشدة. خاصة إذا كانت جرعة المناعة والتحصين التي أخذها في البيت ضعيفة أو غير كافية في إيجاد روح المقاومة والصمود عند الشباب أمام العواصف الهوجاء والأعاصير المدمرة للقيم والأخلاق، والتي تهب على الشباب من كل حدب وصوب.

ثانيًا: افتقاد منهج التربية الإسلامية في المؤسسات التعليمية:

مناهج التعليم هي إحدى الروافد التي يستمد منها الجيل الناشئ قيمه، تعليمًا وتربية، والطفل منذ اللحظة التي يلتحق فيها بالمراحل الأولى للتعليم، ويمكث حتى نهايتها، هو المستودع لكل ما يتلقاه من برامج التعليم وألوان التربية. لذلك يتعين أن تكون مناهج التعليم انعكاسًا وصدى للثقافة السائدة في المجتمع، وثقافة المجتمعات الإسلامية وقيمها مستمدة من الإسلام. هذا الدين الذي أنشأ وأوجد هذه المجتمعات، عقيدة وشريعة، ونظامًا وأخلاقًا، وقيمًا وحضارة وتراثًا. لكن مناهج التعليم في هذه المجتمعات المنتسبة إلى الإسلام قد تمَّ تفريغها من كل ذلك.

ثالثًا: الخلافات الزوجية:

الخلافات الزوجية هي السوس الذي ينخر في بناء الأسرة، والعواصف التي تعصف بها، فالوالدين اللذان يقضيان معظم الوقت ويستهلكان طاقتهما البشرية في الصراعات والخلافات فلا يوجد فائض من الوقت للقيام بمسئولياتهما نحو الأولاد، فضلاً عن الآثار السلبية التي تترك بصماتها في نفسية الأولاد، خاصة في مرحلة الطفولة التي تكون فيها حاسة الاستقبال قوية، ودرجة التأثر بمن حوله فائقة.

إن الطفل مثل المادة الخام القابلة للتشكيل والوالدين هما الصانع الذي في يده الخامة، يقوم بصياغتها وتشكيلها على النحو الذي يريده، فإن اختل تفكيره

وارتعشت يديه خرجت صناعته معيبة معوجة. هكذا شأن الأولاد الناشئين بين والدين دائبين على الخلافات، وربما تكون هذه الخلافات لأسباب تافهة.

فليتق الأبوين الله في أولادهما ويقدرا المسئوليات الملقاة على عاتقهما نحو هذا الجيل عماد الأمة في نهضتها وتقدمها، وإلا قدما لها جيلاً شائهًا هزيلاً يضر ولا ينفع، يهدم ولا يبني، يُسيء ولا يحسن، وأول ما يلحقهما الضرر والإساءة هما الوالدين.

رابعًا: وسائل الإعلام:

قنوات الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، لها دورها الفعَّال، بل والأشد فاعلية في تربية الشباب وتوجيهه الوجهة الصحيحة إذا التزم القائمون عليها بعقيدة الأمة وثوابتها وتقاليدها وعاداتها الاجتماعية وموروثاتها الثقافية التي تكونت من الدين الإسلامي الحنيف الذي قام على الفضيلة والحياء ومكارم الأخلاق. يقول ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

ومنظومة الحياء والأخلاق في الإسلام شاملة لكل معنى كريم، ولكل خلق سامٍ، إنها الفطرة السليمة والأخلاق والحياء بما تحويه من مضامين متعددة وشمولية واسعة هي هدف الرسالة المحمدية، وهي على النقيض من الأخلاق التي انبثقت من الحضارة الغربية، فهي لا تعرف هذه المعاني في نظمها. فالفعل الجنسي يكتسب شرعية حين يقع برضاء صحيح. فالصلة بامرأة بالغة برضائها أو المساس بعورات جسمها برضائها لا تقوم به جريمة. وفي قوانين الحضارة الغربية، الأصل هو الحرية الجنسية فلكل شخص أن يتخذ لنفسه السلوك الجنسي الذي يروق له في الحدود التي يبيحها القانون، والأفعال التي يجرمها القانون في هذا المجال إنما يجرمها لكونها تشكل اعتداءً على الحرية الجنسية فحسب، لا باعتبارها منكرًا ينهى عنه الدين.

فإذا اتخذت الجريمة صورة الاغتصاب أو هتك العرض بالقوة أو التهديد، فإن القانون يجرم ذلك لكونه اعتداءً على الحرية الجنسية لأن الجاني قد أرغم المجني عليها على سلوك جنسي لم تتجه إليه إرادتها. وإذا اتخذت الجريمة صورة الفعل

الفاضح أو التحريض على الفسق، أو التعرض لأنثى على وجه يخدش حيائها فإن القانون يجرم هذه الأفعال باعتبارها إثارة لشهوة الغير دون اختياره.

ونفس الأمر نجده في جريمة الزنا، فأغلب التشريعات الوضعية لا تعاقب على هذه الجريمة. والتشريعات التي تعاقب عليه باعتباره اعتداءًا على الحقوق الزوجية المترتبة على عقد الزواج.

وعلى هذا فإن مدلول الزنا في هذه التشريعات يختلف عنه في الشريعة الإسلامية التي تحرم وتجرم كل اتصال جنسي دون أن يكون بين المرأة والرجل عقد زواج صحيح(١).

هذه مداخلة موجزة تؤدي بنا إلى أن الإعلام في الغرب لا يلتزم بأية قواعد أخلاقية نتيجة لأنه وليد حضارة لا تعرف للأخلاقيات قيمة، إنما تقدس الحرية في كل شيء في حياتها، وفي مقدمتها الحرية الجنسية، وتُسخر الإعلام والفنون لخدمة هذه الحرية والترويح عن النفس طليق من كل قيد، من دين أو خلق كريم.

إن أجهزة الإعلام المرئية دخلت كل بيت، وكل منتدى، يشاهدها الصغير والكبير، فكان يتعين أن تقوم بدورها في التثقيف والتربية، وأن تكون برامجها انعكاسًا وصدى لثقافة الشعب الذي تبث إليه إرسالها، وأن تكون هذه البرامج وفق خطة هادفة من شأنها تنمية الوعي الذي تحتاج إليه الأمة، ملتزمة بمجموعة القيم والأخلاقيات التي تسود الأمة، وهي على النقيض من مجموعة القيم والأخلاق التي تسود المجتمعات الأوروبية.

هذا بالنسبة لدور الإعلام في نشر الثقافة، أما دوره في الترويح عن النفس عن طريق الفنون، فإن الإسلام لا يمنع ذلك مادام الترويح يتم وفق الضوابط الشرعية، فلا يكون فيه ما يخالف الشريعة. ويظن البعض عندما ننتقد التجاوزات التي تحدث في البرامج المرئية، أننا نريد أن تقتصر هذه الأجهزة على الإرسال الديني فحسب، فهذا فهم مغلوط، فالمسلسلات التي تعالج مشكلة اجتماعية في إطار الالتزام بالقيم الدينية من حيث الأداء الفني لا يقف الإسلام من مثل هذه الأعمال موقفًا مضادًا.

---

(١) راجع مؤلفنا: في وجه المؤامرة على تطبيق الشريعة الإسلامية، ص ٥٧.

أما أن يتحول الفن – كوسيلة للترويح – إلى إثارة الغرائز الجنسية، فهذا أمر يرفضه الإسلام بشدة. يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتابه "كفاح دين" الذي كتبه منذ ما يقرب من أربعين عامًا: (فإن كانت برامج التثقيف نفعها قليل، ولغوها كثير، وإذا كانت برامج تعتمد في كلماتها وتلحينها وأدائها على هذا النفر من الناس الذين يسمون "فنانين" وهم عباد شهوات وأحلاس معصية، فماذا تكون النتيجة. النتيجة أن ترى وتسمع الأمة ما يضرها ولا ينفعها، وقد ترادفت صيحات المحذرين من سقوط الفن وفساد بيئته،وصورت حريق الغرائز التي تستعر في أجساد زبانيته، ثم ينتقل لهيبها إلى كيان المجتمع، فلا تدع فيه فضيلة ولا حزمًا).

وينقل الشيخ الغزالي في كتابه فقرات من كلام الأستاذ "عبدالمنعم شميس" الذي كان يعمل مدير المطبوعات: (ويخيل إلى أن مؤلفي بعض الأغنيات يكونون في حالة غيبوبة عقلية، وتخدير جنسي حين يكتبون أغنياتهم لتتوافق مع حركات صوتية معينة تقوم بها النساء المغنيات لبعث النشوة الجنسية في السامعين. إنني رأيت بعيني كثيرين من المطربين وكثيرات من المغنيات يشربون الخمر قبل أن يضعون "الميكروفون" أمام أفواههم، وهم يفعلون ذلك حتى ينسوا أنفسهم أثناء الغناء، وحتى يتخذوا من التخدير الكحولي وسيلة إلى الميوعة الذاتية. إن الظمأ الجنسي يسيطر على أغلب المطربين والمطربات).

ثم يقول: (الأفلام السينمائية ــ في جملتها ــ ترمي إلى شيء واحد، هو إبراز الأنوثة العارمة الطاغية، وترمي إلى إظهار المفاتن الجسدية عند النساء بكافة الطرق الفنية الممكنة. وصُنَّاع الأفلام يهمهم أولاً وأخيرًا أن يحفل الفيلم بالراقصات المتفننات في التثني، البارعات في إظهار أفخاذهن وبطونهن وأردافهن ونهودهن. وفي مثل هذا الجو الصارخ، المليء بأكوام اللحوم النسائية لا يجوز أن يكون الغناء إلا تهافتًا سائغًا، وتخاذلاً منسجمًا مع تلك الرقصات، وتلك الإيماءات، وتلك اللفتات التي تنبض كلها بالإغراء).

ثم يستطرد قائلاً: (حدثني أحد المخرجين ذات مرة عن هذا اللون من الفن السينمائي فقال ــ في حدة وغضب ــ: اذهب إلى دور السينما من الدرجة الثالثة، وتتبع الفتيان المراهقين وانظر ماذا يفعلون؟!!)

لقد سكت، ولم أستطع السير معه في حديثه لأنني فهمت كيف يؤثر تثني راقصة، وتمايع مغنية في شاب يعاني الحرمان الجنسي[1].

ويصف الشيخ الغزالي ــ رحمه الله ــ الحالة التي كان عليها الفن منذ ما يقرب من أربعين عامًا فيقول: (وفي هذه الأيام يوجد لفيف من عملاء الشيطان كرسوا أوقاتهم لمطاردة العفاف والتقوى، وتوطين المجون والهوى، يعبثون بغرائز الشباب، ويعملون على بقائها متوترة مضطربة، كلما انصرفت إلى جد أزالوها عنه، وكلما وقعت على لهو زينوه لها، وكلما ملت متعة عرضوا متعة أخرى).

(وهؤلاء العابثين أعلى صوتًا من دعاة الطهر والأدب، فصحافة الجنس والسينما والتليفزيون تغذي ذلك الفساد، وتنميه، وتعممه حتى لا تفلت من خبثه قرية ولا مدينة).

(لحساب من ذلك الانطلاق الحيواني الشارد المارد، إنه بداهة ليس لحساب دين من الأديان، ولا يتفق مع دعوة القومية العربية لأن للأعراض قداسة عند العرب، ما خُدشت في جاهلية ولا إسلام. الحقيقة أننا أمام جماعة من الناس كوَّنهم الاستعمار بأسلوبه الخاص. ولن يصح لنا نهوض ما بقي هذا الصنف المخنث ينفث وينشر. هؤلاء هم الخطر على مستقبل الأمة. إن المرارة التي لا تنقطع غصتها من حلوقنا سوف تبقي ما بقي هذا القطيع المُهَّجن الذي صنعه الاستعمار الأجنبي والغزو الثقافي).

(إن هذا القطيع النكد يؤثر الإلحاد على الإيمان، والفحش على العفاف، والسكر على الصحو، والمجون على الجد).

هذه الكلمات كتبت منذ ما يقرب من أربعين عامًا تصور حالة الإسفاف والانحلال التي كان عليها الفن، ولقد ازداد الحال سوءًا، وفي الواقع الذي يراه كل فرد من الطفل إلى الكهل في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة ما يُغني عن الحديث في هذا الموضوع.

---

(١) كفاح دين، للشيخ محمد الغزالي، ص ٢٤٢ وما بعدها.

كلمة أخيرة

ننقل إلى القارئ هذه الوصايا النفيسة التي أوردها الأخ الدكتور حسين شحاتة أستاذ الاقتصاد الإسلامي بكلية التجارة جامعة الأزهر (سابقًا)، في كتابه "اقتصاد البيت المسلم في ضوء الشريعة الإسلامية"، وذلك لأنني وجدت فيها خلاصة وافية موجزة لكثير مما ذكرته في هذا البحث. وقد أسس أستاذنا الفاضل هذه الوصايا على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

وصايا اقتصادية إسلامية للبيت المسلم

لقد أمر الإسلام بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْأِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (١)، وحثنا رسول الله ﷺ بأن يوصي المسلم أخاه وينصحه، فيقول: "المسلم مرآة أخيه".

ومن يدرس ويتدبر القرآن، وهدي الرسول ﷺ يجدهما حافلين بالوصايا و النصائح إلى المسلمين الذين التزموا بها، فسعدوا في الدارين الدنيا والآخرة. من هذا المنطلق رأينا أنه من المفيد لأفراد البيت المسلم أن نقدم لهم بعض الوصايا الاقتصادية المستخلصة مما ورد بهذا الكتاب من دراسات واستنباطات، والمؤيدة بأدلة من القرآن والسنة، وآراء فقهاء المسلمين.

ورأينا تنظيم هذه الوصايا طبقًا لمراحل بناء البيت المسلم، منذ فترة الخطوبة إلى إنجاب الأولاد، ثم الوفاة، ثم أوردنا في نهاية هذا الفصل نداءً إلى أفراد البيت المسلم من منبر الإسلام يذكرهم بأن الالتزام بوصايا الإسلام هو النجاة من المشكلات والمعاناة التي تعانيها البيوت التي ابتعدت عن الإسلام، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾(٢).

---

(١) سورة العصر.

(٢) طـــه: من الآية ١٢٤.

الوصية رقم (١):

(أقدم يا أخي، وأقدمي يا أختاه على الزواج، فإن كنتم فقراء فسوف يغنيكم الله من فضله). يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١). ويقول الرسول ﷺ: "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أحصن للفرج وأغض للبصر"(٢).

الوصية رقم (٢):

(أحرص يا أخي المسلم على أن تختار ذات الدين عن ذات الجاه والمال والجمال). يقول الرسول ﷺ: "من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده إلا فقرًا، ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك فيه"(٣). ويقول الرسول ﷺ: "تُنكح المرأة لأربع: لمالها، وحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"(٤).

الوصية رقم (٣):

(احرص يا أخي على أن تختار لبنتك ذا الدين عن ذي المال). يقول الله عز وجل: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾(٥)، ويقول الرسول ﷺ: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"(٦).

الوصية رقم (٤):

(لا تغالوا في الصداق، فإن أكثر النساء بركة أيسرهن مؤنة). يقول الرسول ﷺ: "خير النساء أحسنهن وجوهًا وأرخصهن مهورًا"(٧)، ويقول ﷺ: "إن من يُمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها"(٨).

---

(١) النور: ٣٢.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) النور: من الآية ٢٦.
(٦) رواه الترمذي.
(٧) متفق عليه.
(٨) رواه أحمد.

الوصية رقم (٥):

(لا تأخذوا صداق المرأة منها إلا عن طيب خاطر ورضاء تام). يقول الله عز وجل: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾[١]، كما يقول الله سبحانه وتعالى:﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [٢].

الوصية رقم (٦):

(احرص على تبادل الهدايا فهي وسيلة من وسائل تقوية الحب والمودة، واختر الهدية ذات المعنى عن ذات القيمة). يقول الرسول ﷺ: "تهادوا تحابوا"[٣].

الوصية رقم (٧):

(لا تكلف نفسك من الهدايا ما لا تطيق، لأن الهدية تعبيرًا وليست تقييمًا). يقول الله عز وجل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾[٤]، ويقول الرسول ﷺ: "ما عال من اقتصد"[٥].

الوصية رقم (٨):

(اعلم يا أخي ويا أختي في الإسلام أن أثاث البيت وسيلة لغاية، وهي تهيئة الحياة التي فيها المودة والسكينة، وليس للتفاخر والتباهي).

(ولا ترهقي والدك في تأثيث البيت فوق الطاقة، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها).

(ولا تحملي زوجك من الديون من أجل تأثيث البيت، إن حمل الصخور أخف من حمل الديون).

يقول الله عز وجل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٦].

---

(١) النساء:٤.
(٢) النساء: من الآية٢٥.
(٣) رواه البخاري.
(٤) البقرة: من الآية٢٨٦.
(٥) رواه الإمام أحمد.
(٦) البقرة: من الآية٢٨٦

الوصية رقم (٩):

(تجنبوا إقامة حفلات الزواج في الفنادق وما في حكمها، وأقيموها في المساجد حيث البركة والاقتصاد). يقول الرسول ﷺ: "أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه الدفوف".

الوصية رقم (١٠):

(اقتصدوا في نفقات حفلات الزواج، فالبيت الجديد أولى وأحق بهذا المال). يقول الرسول ﷺ: "رحم الله امرأ اكتسب طيبًا، وأنفق طيبًا، وقدم فضلاً ليوم فقره وحاجته".

الوصية رقم (١١):

(تُستحب الوليمة بقدر ما يستطيع الزوج، ويُدعى إليها الأغنياء والفقراء، ويشارك في إعدادها الإخوان). يقول الرسول ﷺ: "أولم ولو بشاة"[١]، كما يقول: "بئس الطعام طعام الوليمة يُدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء"[٢].

الوصية رقم (١٢):

(من قوامة الرجل العمل والكسب الطيب للإنفاق على البيت)، يقول الله عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾[٣]. ويقول الرسول ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع ومسئول عن رعيته".

الوصية رقم (١٣):

(من موجبات الأرزاق العمل والسعي وحسن التوكل على الله والاستغفار). يقول الله عز وجل: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [٤]، ويقول

---

(١) رواه البخاري.
(٢) متفق عليه.
(٣) النساء: من الآية ٣٤.
(٤) الملك: من الآية١٥.

الرسول ﷺ: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ (١).

الوصية رقم (١٤):

(احرص يا أخي على الكسب الطيب، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا). يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (٢)، ويقول الرسول ﷺ: "كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به"(٣)، ويقول ﷺ: "طلب الحلال فريضة بعد الفريضة".

الوصية رقم (١٥):

(من مسئولية المرأة تدبير شئون البيت، وعلى الرجل ما هو خارجه). يقول الرسول ﷺ: "المرأة راعية في بيت زوجها، ومسئولة عن رعيتها"(٤).

ويقول أحد الشعراء:

إذا لم تكن في البيت امرأة حرة ... تدبره ضاعت مصالح داره

المرأة تبني والمرأة تخربه ... فهي أصل تقدمه وسعادته

الوصية رقم (١٦):

(الموازنة بين الكسب والإنفاق، ولا يُحمل الزوج ما لا يطيق). يقول الله عز وجل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾(٥)، ويقول الرسول ﷺ: "لقد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافًا، وقَنَّعَهُ الله بما آتاه"(٦).

---

(١) نوح: ١٠-١٢.
(٢) البقرة: من الآية ٢٦٧.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) البقرة: من الآية ٢٨٦.
(٦) متفق عليه.

وتوصي إحدى الصالحات ابنتها فتقول: "لا تكلفي زوجك إلا ما يطيق طبقًا للأحوال، وارفعيه بيدك عن مواطن الضعف والضيق، فحمل الصخور أخف من حمل الديون".

الوصية رقم (١٧):

(الاعتدال في الإنفاق دون سرف أو تبذير أو تقتير، لأن المبذرين من إخوان الشياطين، وأن المقترين من البخلاء). يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾[١]، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿...وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾[٢].

ويقول الرسول ﷺ: "إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب، وللخادم مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئًا"[٣]، ويقول الرسول ﷺ: "ما عال من اقتصد"[٤].

الوصية رقم (١٨):

(تجنب الإنفاق على الترفيهيات والمظهريات، والالتزام بالضروريات، فالحاجيات، ثم التحسينيات). يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[٥]. ويقول الرسول ﷺ: "كُلْ ما شئت، واشرب ما شئت، والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة"[٦].

الوصية رقم (١٩):

(ادخار الفائض عن الحاجة أمر وجوبي، كوقاية لنوائب الدهر، وتأمينًا للأولاد من المسألة)، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[٧]، ويقول الرسول ﷺ: "رحم الله امرأ اكتسب طيبًا، وأنفق قصدًا،

---

(١) الفرقان:٦٧.
(٢) الاسراء:٢٦-٢٧.
(٣) رواه الطبراني.
(٤) رواه الإمام أحمد.
(٥) الاسراء:١٦.
(٦) عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما.
(٧) لقمان: من الآية ٣٤.

وقدم فضلاً ليوم فقره وحاجته"[1]، ويقول الرسول كذلك ﷺ: "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس أعطوهم أو منعوهم"[2].

الوصية رقم (٢٠):

(من بر الوالدين الإنفاق عليهما عند حاجتهم، فإعطاء الولد المال لوالديه ديانة وقضاء)، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[3].

وعن عامر الأحول قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ: فقال يا رسول الله ما لنا من أولادنا؟ قال: "هم من أطيب كسبكم وأموالهم لكم".

وعن محمد بن المنكدر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله إن لي مالاً وإن لي عيالاً، ولأبي مال وله عيال، وإن أبي يأخذ من مالي، قال: "أنت ومالك لأبيك"[4].

الوصية رقم (٢١):

(القرض الحسن للتفريج عن كرب المسلمين ثوابه ثمانية عشر مثلاً). يقول الله عز وجل: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾[5]. ويقول الرسول ﷺ: "من فَرَّج عن مسلم كربة من كُرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة"[6].

الوصية رقم (٢٢):

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) الاسراء: من الآية ٢٣.
(٤) نقلاً عن الدر المنثور، ص ٣٤٧.
(٥) المزمل: من الآية ٢٠.
(٦) رواه أحمد.

(تجنب المعاملات الربوية حتى لا تقع في حرب مع الله ورسوله). يقول الله عز وجل: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾[2].

ويقول الرسول ﷺ : "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله. قال: الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"[3]

الوصية رقم (٢٣):

الإكثار من الدعاء والاستغفار لأنهما من موجبات الرزق

يقول الله عز وجل: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾.[4]

وعن أنس ﷺ : "أصابت الناس سنة على عهد النبى ﷺ فبينما هو يخطب الجمعة قام أعرابى فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه ثم قال:... اللهم أغثنا، اللهم أغثنا... إلى آخر الحديث"[5]

الوصية رقم (٢٤):

التقوى والالتزام بمنهج الله أساس إيماني لجلب الأرزاق بعد الأخذ بالأسباب.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[6] ويقول أيضا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا

---

(١) البقرة: من الآية٢٧٥.
(٢) البقرة: من الآية٢٧٦.
(٣) متفق عليه
(٤) نوح : ١٠-١٢
(٥) رواه الستة إلا الترمذى
(٦) الأعراف: ٩٦

أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.(١)

ويقول: الرسول ﷺ: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا"(٢)

ويقول صاحب الظلال سيد قطب فى هذا الخصوص: إن قاعدة ربط الإيمان والتقوى بالأرزاق والبركات قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله ومن سنة الحياة، كما أن الواقع العملى يشهد بتحقيقها على مدار القرون. وما من أمة قام فيها شرع الله واتجهت اتجاها صحيحا لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبىء عن خشية الله.. ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته، فحققت العدل والأمن للناس جميعا إلا فاضت فيها الخيرات، ومكنَّ الله لها فى الأرض واستخلفها الله بالعمران والصلاح.

وصايا اقتصادية فى عمل المرأة ومالها:

الوصية رقم (٢٥):

المكان الطبيعى لعمل المرأة هو البيت، زوجة وأمًّا ومربية ومعلمة ومدبرة ومنظمة وحافظة وأمينة فهى راعية ومسئولة عن رعيتها.

يقول الله عز وجل ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.(٣)

ويقول الرسول ﷺ : "والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها)(٤)

---

(١) المائدة: ٦٥-٦٦

(٢) رواه الترمذى

(٣) الأحزاب: ٣٣

(٤) رواه البخارى

الوصية رقم (٢٦)

(لا بأس من أن تخرج المرأة للعمل في العمل المناسب لها وفي المكان المناسب لها، وهذا عند حاجتها للإنفاق على الضروريات والحاجيات أو حاجة المجتمع المسلم إلى عملها).

يقول الله عز وجل: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[١]، ويقول الله في قصة بنات شعيب: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[٢].

الوصية رقم (٢٧):

(الالتزام بالزي والسلوك الإسلامي عند الخروج للعمل لضرورة تقدرها الشريعة غير متبرجة أو مستعطرة). يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٣].

ويقول الرسول ﷺ: "المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا يعني زانية"[٤]. كما يقول ﷺ: "ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة، ثم يغض بصره، إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها"[٥].

الوصية رقم (٢٨):

(للمرأة حق الكسب وحق الإرث وحق التملك، ولها ذمة مالية مستقلة في الإسلام). يقول الله عز وجل: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[٦]، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[٧].

---

(١) النساء: من الآية ٣٢.
(٢) القصص: من الآية ٢٣.
(٣) الأحزاب:٥٩.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) رواه أحمد.
(٦) النساء: من الآية ٣٢.
(٧) النساء:٧.

الوصية رقم (٢٩):

(أخطأ من يظن أن خروج المرأة للعمل "بدون مبرر شرعي" هو سلاح معها، ولكن تقوى الله والقيام بحقوق الزوج والأولاد هو الأمن والاطمئنان).

يقول الله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[١]. ويقول الرسول ﷺ لأسماء بنت يزيد الأنصارية وافدة النساء إلى الرسول، قال لها الرسول ﷺ: "انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء أن إطاعة الزوج اعترافًا بحقه يعدل ذلك (الجهاد في سبيل الله)، وقليل منكن من تفعله"[٢].

الوصية رقم (٣٠):

(زكاة المال ركن من أركان الإسلام وفريضة من الله على مال الزوج والزوجة والقاصر والمجنون وهي حق للفقير والمسكين). يقول الله عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [٣]. ويقول الرسول ﷺ: "إن الله فرض على الأغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابًا شديدًا، ويعذبهم عذابًا أليمًا"[٤].

الوصية رقم (٣١):

(على صداق المرأة وحليها ومالها زكاة المال). يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[٥]. روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتخات (أي خواتم) من وَرِق فقال لي: ما هذا يا عائشة؟، فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله، فقال: أتؤدين زكاتهن؟ قلت: لا، أو ما شاء الله، قال: حسبك من النار"[٦].

---

(١) الأحزاب: من الآية ٣٣.
(٢) رواه الطبراني.
(٣) التوبة: من الآية ١٠٣.
(٤) رواه الطبراني.
(٥) البقرة: من الآية ٤٣.
(٦) رواه البيهقي وأبوداود.

الوصية رقم (٣٢):

(الصدقة تطهير للنفس البشرية من شوائب التظاهر والرياء، وفيها قربة إلى الله، وصلة للرحم، وعطف على اليتيم...). يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[١]. ويقول الرسول ﷺ: "ما نقص مال من صدقة"، ويقول ﷺ أيضًا: "إن الله عز وجل ليدرأ بالصدقة سبعين ميتة من السوء"[٢]. ويوصي الرسول ﷺ النساء بالصدقة، فقد روي عن عمر بن الحارث.. عن زينب قالت: "خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن، فإنكن أكثر أهل النار يوم القيامة".

الوصية رقم (٣٣):

(احرص على التصدق على ذوي القربى، فالأقربون أولى بالمعروف). يقول الله عز وجل: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ [٣]. وروي في الأثر "الأقربون أولى بالمعروف".

الوصية رقم (٣٤):

(احرص على التصدق على الجار وأحسن معاملته لأن هذا من موجبات الإيمان والأمن). يقول الله عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾[٤]. ويقول الرسول ﷺ : "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم"[٥].

الوصية رقم (٣٥):

(الهبة تزيد الحب، وتقوي المودة، وتصل الأرحام). يقول الرسول ﷺ: "تهادوا تحابوا"[٦].

---

(١) البقرة: من الآية ٢٧١.
(٢) عن أنس رضي الله عنه.
(٣) البقرة: من الآية ١٧٧.
(٤) النساء: من الآية ٣٦.
(٥) رواه البزار.
(٦) متفق عليه.

الوصية رقم (٣٦):

(اعدلوا بين أولادكم حتى في الهبات، وذلك لتجنب الكراهية والبغض والحسد بينهم). يقول الرسول ﷺ: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم"[١].

الوصية رقم (٣٧):

(لا تنام إلا ووصيتك مكتوبة). يقول الرسول ﷺ: "ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده"[٢]، ويقول: "من مات على وصية مات على سبيل الله وسنتي، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفورًا له)[٣].

الوصية رقم (٣٨):

(لا تتحايل على الميراث بالوصية، فلا وصية لوارث). يقول الرسول ﷺ: "إن الله قد أعطى كل ذي حظ حظه، فلا وصية لوارث"[٤].

الوصية رقم (٣٩):

(اجعل في مالك صدقة جارية تنفعك بعد موتك، وأحسن تربية أولادك يدعوا لك بعد الموت). يقول الله عز وجل: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[٥]. ويقول الرسول ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وابن صالح يدعو له، وعلم ينتفع به"[٦].

الوصية رقم (٤٠):

نصحت أم إياس ابنتها عند الزواج بعشر وصايا[٧]:

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه ابن ماجة.
(٤) رواه ابن ماجة.
(٥) النساء:٩.
(٦) متفق عليه.
(٧) هذه النصيحة وإن كنا قد أوردناها في صلب البحث، فلا بأس من إيرادها في آخر البحث لاحتياج المرأة إليها.

قالت: أي بنية، أعلمي لو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى أهلها لكنت أغنى الناس، ولكن النساء للرجال، خُلِقْنَ ولَهُنَّ خُلِقَ الرجال، يا بنيتي احفظي عني عشر خصال تكن لك ذخرًا:

- **أما الأولى والثاني:** المعاشرة له بالرضا والقناعة وحسن السمع له والطاعة.
- **وأما الثالثة والرابعة:** فالتفقد لموضع أنفه، وموضع عينه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشمن منك إلا أطيب الريح.
- **وأما الخامسة والسادسة:** فالهدوء عند منامه، والتفقد لموضع طعامه، فإن مرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.
- **وأما السابعة والثامنة:** فالاحتفاظ بماله، والإرعاء على حشمه وعياله.

- **وأما التاسعة والعاشرة:** فإياك أن تعصي له أمرًا، أو تفشي له سرًا ؛ فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، وأعظك بعد ذلك من الفرح إن كان ترحًا، ومن الترح (الحزن) إن كان فرحًا.

تم بحمد الله الانتهاء من كتابة هذا البحث

مساء يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر شوال سنة ١٤٠٤هـ

الموافــق الثاني والعشرين من شهر ديســمبر سنة ٢٠٠٣م

الفهرس

إهداء ٥
مقدمة ٧
الأسرة ضرورة إنسانية ٩
الزواج فطرة بشرية ١٥
فوائد الزواج ١٦
المنهج النبوى فى تكوين الأسرة ١٩
أولا: اختيار ذات الدين ١٩
ثانيا: عدم المغالاة فى المهور ٢٢
ثالثا: اختيار ذا الدين ٢٣
الخطبة وأحكامه ٢٣
هل يجوز للمرأة أن تخطب الرجل ٢٤
الخطبة على الخطبة ٢٥
خطبة معتدة الغير ٢٦
حكم الخلوة بالمخطوبة ٢٦
العدول عن الخطبة وأثره ٢٨
لا عنوسه ولا عزوبه فى الإسلام ٢٨
أسباب العنوسة ٢٩
مقترحات للقضاء على مشكلة العنوسة والعزوبة ٣٠
مهر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وجهازها ومعيشتها ٣٤
تعدد الزوجات ومشكلة العنوسة ٣٦
مزايا تعدد الزوجات ٣٦
صفة بيت محمد صلى الله عليه وسلم ٣٨
عقد الزواج وأركانه ٣٨
أركان الزواج ٣٨
شروط صحة عقد الزواج ٣٩
خطبة العقد ٤٠
حفلات الزفاف ٤٠
الدعاء للعروسين ٤١

الوليمة وأحكامها ٤١
حكم حضور الولائم التى فيها محرمات ٤٢
وصية أهل الزوج للزوجة ٤٢
وصية المرأة العربية لابنتها ٤٣
صلاة ركعتين بعد دخول الزوجة ٤٣
الهدية للعروس صبيحة البناء ٤٤
حكم الزواج من نساء أهل الكتاب ٤٥
حكم الزواج من الكافرة ٤٧
الحياة الزوجية حقوق وواجبات ٤٨
حق الزوجة على الزوج ٤٨
علاج نشوز المرأة ٥٣
وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ٥٦
حق الزوج على الزوجة ٥٧
حقوق الزوجين فى مشروع القانون العربى الموحد للأحوال الشخصية ٦٤
أم سليم المثل الأعلى للمرأة المسلمة ٦٥
أم سليم الداعية ٦٥
أم سليم المجاهدة ٦٦
أم سليم الزوجة ٦٨
أم سليم الأم ٦٩
قصة زوج وزوجة ٧١
نحو أسرة مستقرة ٧٢
المخالفات الشرعية عند تكوين الأسرة ٧٣
مشكلات ما بعد الزواج ٧٧
مشكلات سببها الزوج ٧٧
مشكلات سببها الزوجة ٧٨
مشكلات سببها الزوجين معا ٨٢
كيف نتجنب وقوع الطلاق ٨٣
فى بيت النبوة ٨٤
اللباس الشرعى للمرأة المسلمة ٨٥
النقاب وآراء العلماء فيه ٨٦

قصة السفور ٩٠
تربية الأولاد ٩٤
تسمية المولود ٩٤
العقيقة وأحكامها ٩٦
ختان الإناث ٩٧
التربية الدينية وأهميتها ٩٧
التربية الدينية في مرحلة الطفولة ٩٨
مسئولية الوالدين في مرحلة الطفولة ٩٩
أخطاء شائعة في تربية الأولاد ١٠٤
الآداب الاجتماعية ١٠٩
واجبات الأبوين ١١١
(١) تعليم الأولاد القرآن الكريم ١١١
بركة القرآن على الوالدين ١١٣
نماذج من حفظة القرآن من الأطفال ١١٤
السلف الصالح والقرآن ١١٤
(٢) آداب الاستئذان في الدخول على الوالدين ١١٥
(٣) تعليمهم كيفية أداء الصلاة ١١٨
(٤) تعويدهم على صلة الأرحام ١١٩
(٥) تقريبهم من الصالحين وإبعادهم عن الفاسدين ١٢٠
(٦) تنشئتهم على حب النبي ﷺ ١٢١
(٧) تربيتهم على المسئولية ١٢٢
حقوق الوالدين على الأبناء ١٢٤
التحذير من عقوق الوالدين ١٢٧
حنان أب وعقوق ابن ١٢٨
عطف أبوي ١٢٨
أولادنا أكبادنا ١٢٨
مع الشاعر عمر بهاء الأميري ١٢٨
الفراغ وخطره على الشباب ١٣٠
سمات المنهج الإسلامي للترويح ١٣١
معالم المنهج الإسلامي للتربية ١٣٣

عقبات في طريق التربية الإسلامية ١٣٥
أولاً: تناقض مصادر التأثير ١٣٥
ثانيًا: افتقاد منهج التربية الإسلامية في المؤسسات التعليمية ١٣٦
ثالثًا: الخلافات الزوجية ١٣٦
رابعًا: وسائل الإعلام ١٣٧
كلمة أخيرة ١٤١
وصايا اقتصادية إسلامية للبيت المسلم ١٤١